

تأليف

كلود جرمان ريمون لوبلون

ترجمة

الدكتورة نور الهدى لوشن





تأليف

كلود جرمان   ريمون لوبلون

ترجمة

الدكتورة نور الهدى لوشن



رقم الايداع 96/2319

دار الكتب الوطنية - بنغازي

الطبعة الاولى 1997 م .





La Sémantique

Claude Bermain - Raymond le Blanc

Les Presses de l'Université de

Montréal (Québec)

canada 1982

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المترجمة

يعرف علم[1] الدلالة على أنه دراسة المعنى، وقد ظهر هذا المصطلح بهذا المفهوم في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي (Michel Bréal) ميشال بريال وذلك في سنة 1883 م قاصداً به علم المعنى.

وقد ظل اللغويون الفرنسيون يعتبرون مسألة علم المعنى أو الدلالة من اهتمامات الأساليب والدراسات الأدبية؛ إلا أنهم عادوا في النهاية ليدرجوا هذا العلم ضمن الدراسات اللغوية.

وفي القرن العشرين اتسعت البحوث والدراسات في المعنى والدلالة واتضحت المناهج وتطور البحث فيها ولم تعد تقتصر على الجوانب التاريخية، فأدخلت الجوانب الاجتماعية والنفسية والإنسانية كل ما له علاقة بالمعنى.

وعلم الدلالة يبحث في الدلالة اللغوية؛ أي العلامات اللغوية دون سواها، وإن كان موضوع علم الدلالة هو كل ما يقوم بدور العلامة

---

(1) علم الدلالة La Sémantique.

أو الرمز سواء أكان لغوياً أم غير لغوي، إلا أن التركيز يكون على المعنى اللغوي في مجال الدراسة اللغوية.

إذن موضوع الدلالة هو المعنى اللغوي، والمعنى اللغوي ينطلق من معنى المفردة من حيث حالتها المعجمية ومتابعة التطورات الدلالية والتغيرات التي تأخذها الكلمة في السياقات المختلفة إذ يصعب تحديد دلالة الكلمة؛ لأن الكلمة لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة، وإنما السياق هو الذي يحدد لها دلالتها الحقيقية.

هذا بالإضافة إلى دراسة الأصوات وعلاقات التركيب المؤثرة التي تفضي إلى الدراسة التكاملية. وتتجلى هذه العناصر أو الأسس من خلال أنواع الدلالة:

1 ــ دلالة أساسية معجمية.

2 ــ دلالة صرفية.

3 ــ دلالة نحوية.

4 ــ دلالة سياقية موقعية.

وتختلف هذه الأنواع من دارس إلى آخر ومن منهج إلى آخر.

وأهم مقومات الدلالة هو الرمز، والفكرة والشيء المشار إليه.

وانطلاقاً من الثنائية[1] لغة/كلام، تنبني العلامة اللسانية على ثنائية الدال والمدلول. وقد واجه علم الدلالة صعوبات عدة منها:

ــ عدم محدودية المصطلح.

ــ تناول المصطلح ضمن التخصصات المختلفة.

---

(1) ثنائية دي سوسير.

في هذا الكتاب الذي بين أيدينا يطرح المؤلفان إشكالية الدلالة والمسائل التي تواجه الدلالي.

فقد تساءلا حول ما هو المعنى لكلمة ما، وحول المفهوم والمرجع، وتطرقا للجملة كموضوع أول للدلالة، مع بيان الصعوبات التي يثيرها اللجوء إلى الكلمة كوحدة للتحليل الدلالي، تم هذا في الفصل الأول من هذا الكتاب.

أما في الفصل الثاني فقد طرحا مشكلة الغموض المعجمي من خلال الجناس والمشترك اللفظي مع بيان دور المقام والسياق اللساني في ذلك.

أما في الفصلين الثالث والرابع فقد تناول المؤلفان على التوالي دلالة الكلمة، والحقول الدلالية، والتحليل (المؤلفاتي)، وذلك من خلال علاقات المعنى، ثم دلالة الجملة وبعض قواعد التصنيف وقد بيّن هذان الفصلان المسائل التي أُثيرت من قبل الذين يعدون الكلمة كموضوع أول للدلالة والذين يحبذون أن تكون الجملة هي الموضوع الأول للدلالة.

أما الفصل الخامس فكان بمثابة الخاتمة للكتاب، وقد تعرض هذا الفصل إلى العلاقة المعقدة بين النحو والدلالة، خاصة في ضوء الدراسات التي تمت على إثر اللسانيات التشومسكية.

هذا وقد حاولت ـ في ترجمتي لهذا الكتاب ـ الحفاظ على جوهر المادة كما أوردها المؤلفان مما اضطرني في بعض الأحيان إلى أن أبقي على الفكرة كما جاءت في اللغة الفرنسية؛ ذلك مثل الجدول الخاص بأسماء الحيوانات؛ لأن ترجمته إلى اللغة العربية يفقده أو يبعده عن

الهدف المسطر له، في حين أنني تصرفت في تغيير بعض الأسماء فبدلاً من (Pierre) و (Marie) وضعت (أحمد) و (فاطمة) مثلاً.

أما تعريب المصطلحات اللسانية فكان ذلك في ضوء المعاجم اللسانية.

وقد أسقطت من الكتاب ما لم يخل بالموضوع ولم أر فيه فائدة كبيرةً.

أتمنى أن أكون قد أسهمت في وضع دراسة دلالية بين يدي القارىء العربـي.

وبالله التوفيـــق

مقدمة للملزمة الخاصة
بعلم الدلالة وموضوعاته
[في إطار درس مدخل إلى اللسانيات العامة]

من الصعب تصوّر درس هو مدخل إلى اللسانيات العامة لا يتضمّن ملزمة خاصة بعلم الدّلالة؛ أي لدراسة الدّلالة اللسانية.

ومع ذلك ـ يحدث مِراراً فيما يبدو ـ أن هذا المجال الهام من اللسانيات لا يُتطرق له أصلاً، أو يُطرق له تطرقاً طفيفاً. وهذا يعود إما إلى ضيق الوقت (حيث تؤجل مادة علم الدّلالة عادة إلى نهاية الدّراسة)، وإما أن ذلك يعود إلى صعوبات المادة نفسها.

ولكن إذا سلمنا أن لغة ما تحدّد أوّلاً وقبل كل شيء كأداة للتواصل فإنه من المؤسف حقاً أن تُهمل دراسة المحتوى الذي يقوم عليه هذا التواصل ـ في نهاية الأمر ـ نحن نتحدث لكي نقول شيئاً ما؟ هذا الشيء هو: ما يعني بالتحديد علم الدلالة.

في هذه الملزمة نعرض في المقام الأوّل للمسائل التي يجب أن يتصدى لها الدّلالي، من أجل هذا نحن نتساءل عن ماهية معنى الكلمة، ونستعرض في عجالة الصعوبات التي يثيرها اللجوء إلى الكلمة باعتبارها وحدة تحليل دلالي، وننوّه بالتبعات (المهام) الملقاة على عاتق علم الدّلالة من طرف هؤلاء الذين اتخذوا من الجملة ـ مفضليها على

الكلمة ـ موضوعاً أوّلياً لهذا العلم. يضاف إلى هذا عدد من الاعتبارات تتعلق بصعوبة مهمة الدّلالي وبعض التنويهات بالفرضية القائلة: إن أية لغة إنما تقوم على تفريع خاص للحقيقة.

أما الفصل الثاني فيتطرق إلى مسألة الغموض المعجمي من خلال الجناس والمشترك اللفظي؛ الأمر الذي يطرح المسألة بكاملها حول دور السياق اللساني والسياق خارج اللسانيات وتأثيرهما في الدّلالة.

أما الفصل الثالث والفصل الرابع فخصصا على التوالي للمسائل المثارة من طرف الذين يعتبرون الكلمة موضوعاً أولياً للدّلالة ومن طرف الذين يرون أن الأجدى هو أن تكون الجملة هي الموضوع الأول للدّلالة.

أما الفصل الختامي فإنه لا يسعى إلا إلى إعطاء لمحة مختصرة عن العلاقات المتشابكة بين النحو والدّلالة، خاصة في ضوء الأعمال التي تَمّتْ امتداداً للسانيات التشومسكية.

أهـــداف الملـــزمـــة

بالانتهاء من قراءة هذه الملزمة سيكون في المقدور:

1 ـــ التمييز بين عدد من المصطلاحات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدّلالة اللسانية، وعلى وجه الخصوص مصطلحات: مفهوم ومرجع وقيمة.

2 ـــ مناقشة مختلف أنماط المشاكل التي يجرها اختيار الكلمة أو الجملة كموضوع أوّل للدّلالة.

3 ـــ التثبت من واقعة أن اللغة إنما تقوم على تقطيع خاص للحقيقة.

4 ـــ التحقق ـ وفقاً لإجراءات ومعايير مناسبة ـ من الجناس والمشترك اللفظي.

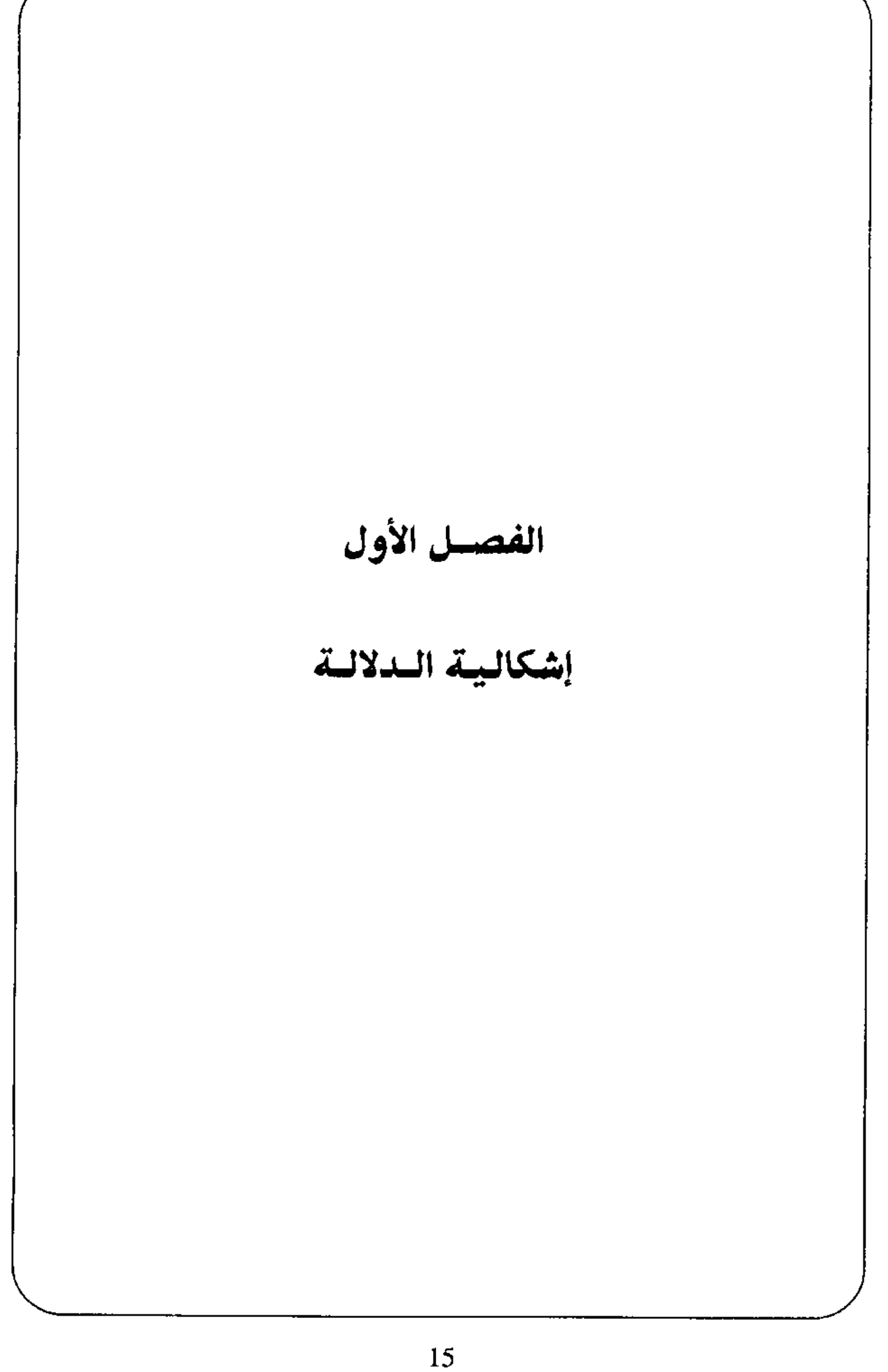
5 ـــ التقدير ـ من خلال التطبيقات العملية ـ لفضائل وحدود نظرية الاستعمال (العرف)، لا سيما تلك المطبقة من قِبل المعجميّين.

6 ـــ الوقوف على دور السياق اللساني والوضع خارج اللسانيات بالنسبة للغموض المعجمي.

7 ـــ المراجعة ـ في ضوء مختلف القوانين ـ لبعض الفرضيات الموضوعة في علم الدّلالة حتى الآن، والخاصة بدلالة الكلمة، والحقول الدّلالية، وعلاقات المعنى والتحليل الدلالي.

8 ـ تطبيق بعض إجراءات التحليل المقترحة في مجال دلالة الجملة: قواعد الإسقاط وحساب نسبة المسانيد، والافتراض.

9 ـ معرفة طريقتين مختلفتين في النظر إلى العلاقة بين النحو والدّلالة في إطار القواعد التوليدية التحويلية.



الفصــل الأول

إشكاليـة الـدلالـة

هي إشكالية تشمل مجموعة من الأسئلة المطروحة من قبل حقل دراسي. والإشكالية الدلالية هي مجموعة المشاكل التي تطرح على الدلالة في أثناء هذا الفصل الأول الذي ينجلي من خلاله بعض التساؤلات الرئيسية التي تواجه الدلالي.

ولا بد من ملاحظة وتعيين الوضع الأولي الذي كانت عليه الدلالة. ولسوء الحظ ليست هناك إجابات للمشاكل المعالجة، وهذا هو الدأب الذي يجب أن يدرسه هذا الفصل.

أ ــ ما هو معنى الكلمة:

صار معهوداً في اللسانيات تعريف الدلالة كدراسة أو علم المعنى؛ إلا أن هذا التعريف العام لن يفيدنا طالما لم نحدد المقصود من المعنى (Signification) على أننا ـ والحالة هذه ـ ابتداء من اللحظة التي نحاول فيها تحديد المقصود بالمعنى يبرز الكثير من المشاكل. فهل بإمكاننا الوصول إلى تحديد المقصود بالمعنى لكلمة ما؟ (معنى ودلالة هنا كلمتان مترادفتان).

هل نستطيع الوصول إلى تعريف معنى[1] الكلمة؟.

1 ــ الكلمة والشيء:

عند (أفلاطون) مثلاً معنى كلمة هو كالشيء المدلول عليه

(1) معنى ودلالة هنا مترادفان.

بالكلمة: فمعنى الطاولة (Table) هو الموضوع المادي للطاولة؛ غير أن هذا التصور للعلامة اللغوية ليس بالأمر الهين.

في الواقع نحن لا نتصور بوضوح مدلولات معظم الصفات (كجيد، وجميل.. الخ) والأفعال (كالفعل يمشي)، أو بعض أصناف الخطاب (كحروف الجر وأدوات الربط... الخ).

وعلاوة على ذلك ما هو موقفنا من الكلمات المجردة مثل (الحرية)، أو الكلمات التي لا توافق أي جوهر حقيقي مثل (جنية، ساحرة.. الخ)؟ كما بيَّنها المنطقي (فريجة) (Frege). حتى ولو أن كلمة أو عبارة توافق موضوعاً مادياً مماثلاً ليس من الضروري التطابق بين المدلول والدلالة: فنجم المساء ونجم الصباح عبارتان ليست لهما نفس الدلالة مع أن لهما مدلولاً واحداً (كوكب فينوس)، لا بد هنا من إضافة أن حدود الحقيقة تكون غامضة في بعض الأحيان: أين تبدأ الشيخوخة، أين ينتهي الشباب؟ النهار والليل، الفتورة والحرارة؟.. الخ.

2 ـ المدلول والمفهوم (التصور):

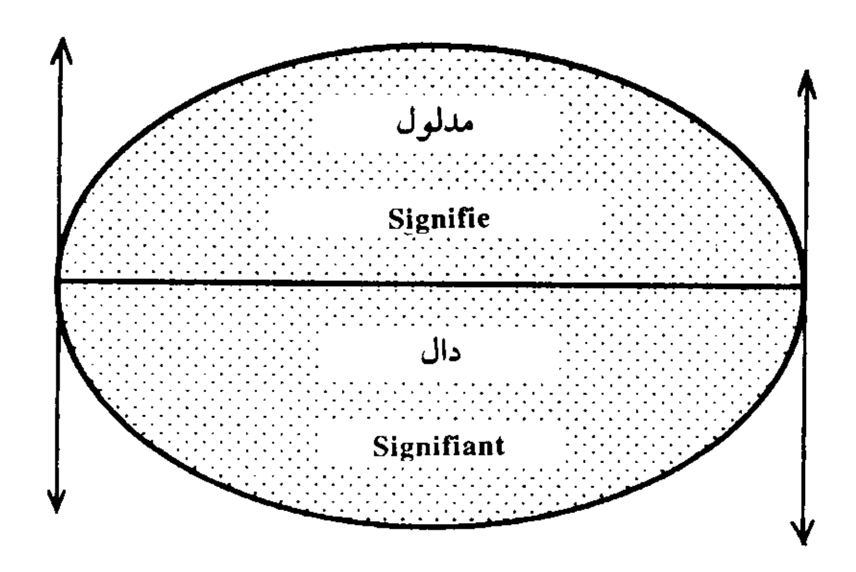
هناك طريقة أخرى لتصور المعنى (الدلالة)[1] تكون بإنشاء علاقة بين كلمة ما والحقيقة بواسطة التصورات. في هذا المعنى دلالة كلمة (طاولة) لم تعد الموضوع المادي (طاولة) ولكنها الفكرة أو التصور (طاولة)، هذا التصور الذي يتصل بحقيقة (طاولة)، وحتى ندرك جيداً بماذا يتعلق نعود إلى تصور (دي سوسير).

بالنسبة لـ(دي سوسير) العلاقة اللسانية ذات الطبيعة النفسية

---

(1) Signification أترجمها أحياناً «دلالة» وأحياناً «معنى» وهذا على حسب السياق الذي ترد فيه.

أساساً تكون جوهراً ذا وجهين مهيأ لتداعي المفهوم، والمدلول والصورة السمعية أو الدال. هذا التصور يجسد عادة بالرسم الموالي:



والدلالة هي العلم الذي يهتم بدقة بوجه مدلول العلامة اللغوية (المدلول والدلالة استعملا كمصطلحين مترادفين).

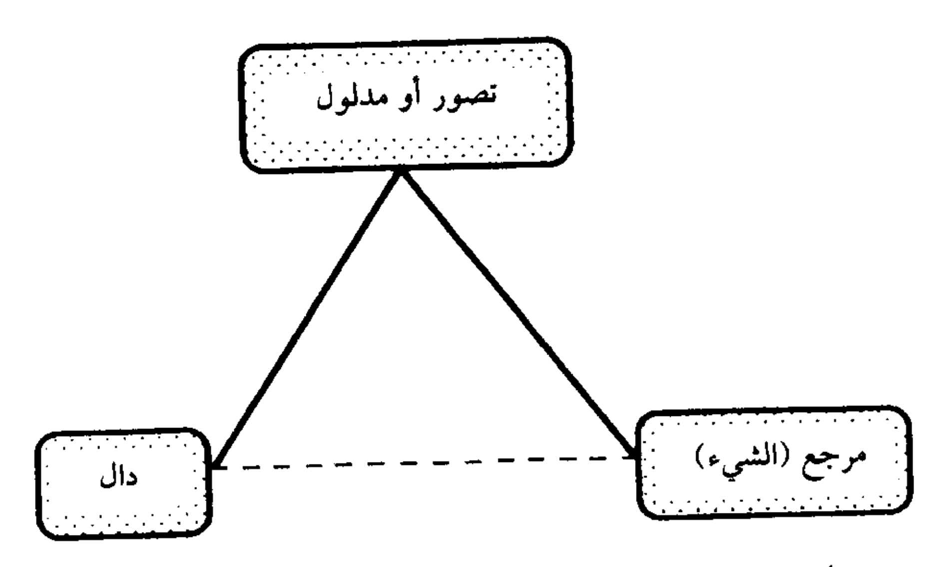
زد على ذلك أن (دي سوسير) بنظريته حول العلامة اللغوية يعد من طرف معظم اللسانيين المؤسس الحقيقي لعلم الدلالة المعاصر.

إلا أن الذي يجب فهمه من المدلول (Signifie) ليس واضحاً إذ يعد ـ في بعض الأوساط ـ مرادفاً (للشيء) (Chose). وفي موضع آخر يعني التصور أو الفكرة؛ يعني جوهر علم النفس أو المنطق. وبعد (دي سوسير) بدأ السعي إلى إعطاء مفهوم دقيق لهذا التصور للعلامة اللغوية.

3 ـــ المفهـــوم والمرجـــع:

من بين المحاولات في هذا المجال ننوه بالإنجليزيين (ريتشاردز

وأوجدن) (Richards et Ogden) اللذين نشرا في سنة 1923 كتابهما المسمى بـ (معنى المعنى) في هذا الكتاب عرضا تصوراً لمثلث المعنى تحت اسم المثلث الأساسي.



نأخذ على سبيل المثال كلمة (طاولة)، الدال هو الصورة السمعية التي توافق أو تتصل بجرس الحروف / ط ـ ا ـ و ـ ل ـ ة/ .

المدلول هو التصور أو الفكرة لـ (طاولة)، والمرجع هو الموضوع المادي؛ أي الطاولة.

العلامة اللسانية في المثلث يجسدها الضلع الأيسر في العلاقة بين الدال والمدلول.

المرجعية هي العلاقة بين العلامة اللسانية والمرجع أو الشيء الخارجي (خارج اللسانيات).

العلاقة بين الدال والمرجع (أو بين الصورة السمعية / ط ـ ا ـ و ـ ل ـ ة/ والموضوع (طاولة) ليست علاقة مباشرة كما تدل على ذلك

نقـاط قاعدة المثلث، وما هو على مخطط المثلث يعود بنا بصورة قطعية إلى العلاقة الثنائيـة التي عبر عنها (دي سوسير) من سنوات خلت.

مع أن مثلث (ريتشاردز وأوجدن) حمل بعض الدقة من جهة العلاقة بين المفهوم (والشيء)؛ إلا أنه لم يضف شيئاً على صياغة (دي سوسير) في مجال المدلول نفسه. ولم يقدم إلى الدلالة اللسانية أية قيمة إضافية.

بالإضافة إلى ذلك أنَّه لمَّا يستطعْ أي أحد ممن اعتمدوا على التصور الثلاثي للعلامة اللسانية (دال ـ مدلول ـ مرجع) أن يتوصل إلى تعريف لساني دقيق للمدلول.

و (أولمان) (Ullman) بعد أن قدم في مختصره لعلم الدلالة الفرنسي سنة 1952 م ترجمة مبسطة وموافقة لمصطلحه حول مثلث ريتشاردز وأوجدن، وبعد أن ذكر مختلف العلاقات بين كل جزء من أجزاء المثلث أضاف أن (الشيء) يمكن أن يكون بعيداً عن البنية الداخلية للكلمة، كما اختصر العلامة اللسانية ـ تماماً مثل دي سوسير ـ في مصطلحين: الدال الذي يعيد صياغة الاسم، والمدلول الذي يستدعي المعنى، والرابط الذي يجمع هدين المصطلحين.

4 ــ المفهـوم والقيمــة:

مع أن دي سوسير لم يوضح علم الدلالة الذي كان مطروحاً من خلال كتابه (دروس في اللسانيات العامة) سنة 1916، إلا أنه يُعد مكتشف الفكرة التي كانت أساساً للمعجمية والدلالة البنيوية. ترى بأي شيء تتعلق القيمة؟.

العلامة اللسانية هي جوهر مكون من دال ومدلول، اللغة عند دي سوسير ـ مثلاً ـ تعد كنظام لقيم صرفة، ويمكن أن نتساءل في هذا الصدد: في أي شيء يختلف مدلول[1] وحدة لسانية عن قيمتها.

ولتوضيح الفرق لجأ (دي سوسير) إلى المقارنة بلعبة الشطرنج، ولاحظ أنه لو نفترض اعتبار قطعة «الفارس» على سبيل المثال، هل يمكن استبدالها بقطة أخرى كقطعة نقود أو قفل أو قرص إلى آخره. حتى ولو لم يكن هناك وجه للمشابهة بين هذه القطع؟.

بمقتضى أن (الفارس) لا يمثل شيئاً في ذاته فإنه يكفي منح القيمة نفسها من خلال وضعيته بالنسبة إلى القطعة المستبدلة، وما تعطيه هذه القيمة هو مقابلتها بالقطع الأخرى للعبة.

الشيء نفسه ينطبق على اللغة، إذ قيمة مصطلح لساني تنتج أو تولد من خلال وضعيتها داخل مجموعة النظام الذي يشكل اللغة، شبكة المقابلات للعلامات فيما بينها.

لكن المدلول ليس إلا مظهراً للعلامة؛ ولتوضيح الفرق بين الدلالة والقيمة على صعيد اللسانيات استعان (دي سوسير) بمجموعة من الأمثلة:

أ ـ كلمة خروف (Mouton) في اللغة الفرنسية، و (Sheep) في اللغة الإنجليزية لهما نفس المعنى؛ ولكن ليست لهما نفس القيمة، إذ أن اللغة الإنجليزية تطلق (Mutton) على قطعة اللحم المقدمة للأكل، في حين تطلق (Sheep) على الحيوان داخل الحقل.

---

(1) مدلول ودلالة هنا مترادفان.

القيمة المختلفة لـ (Mouton) و (Sheep) نتجت عن وجود مصطلحين في اللغة الإنجليزية للتعبير عن الحقيقة المتمثلة في مصطلح واحد في اللغة الفرنسية.

ب ـ داخل لغة واحدة كاللغة الفرنسية مثلاً هناك مترادفات مثل فزع (Redouter) وخاف (Craindre)، وشعر بالخوف (Avoir Peur). هذه المترادفات تتحدد بالتبادل، وقيمتها تأتي من جراء تعارضها فيما بينها، لو أن محتوى أحد المصطلحات كـ (Redouter) غير موجود. يكون موزعاً بين المصطلحين الآخرين، كما يمكنه أن يصل إلى إثراء مصطلح بتأثيره في مصطلحات أخرى.

فمثلاً مع أنه لم يكن هناك ـ تاريخياً ـ أية علاقة بين (حائط متهدم) (Un Mur Decripi) و (عجوز منهوك عاجز) (Un Vieillard Décripit) إلا أن الناس يثبتون عادة مصطلحاً واحداً. العنصر الجديد أدخل في (Décripit) نتيجة للتعايش مع (Décripi).

جـ ـ نبقى مع اللغة الفرنسية في حالة صيغة الأمر هذه المرة، لو أن صيغة الفعل (سر) (Marche) و (سيروا) (Marchez) ستختفي في يوم من الأيام من الاستعمال، فإن القيمة لـ (لنسر) (Marchons) ستتحول لتضم بأية حال دلالات الصيغتين المختلفتين.

كذلك في المنظور السوسيري التحليل الدلالي لا يسعى إلى إعادة الاعتبار إلى دلالة الوحدة اللسانية فحسب؛ ولكن إلى قيمتها أيضاً؛ يعني العلاقات التي تحفظها مع الدلالات الأخرى على مستوى النظام اللغوي.

ب ــ موضــوع علــم الدلالــة :

1 ــ الكلــمــة :

أ ــ الكلمة كموضوع أول للدلالة :

عند الكثيرين الموضوع الأول للدلالة هو الكلمة. والدلالة ستكون إذن من أجل دور أساسي لتحديد القواعد المنظمة لدلالة الكلمات فيما بينها. والفرضية على أساس هذا الاتجاه هي كالتالي :

هناك بناءات في الواقع على مستوى البنية التشكيلية للصوت (الفونولوجيا) (La Phonologie) والمستوى الصرفي (Morphologie)، والمستوى النحوي (Syntaxique)؛ اللغة وهي كل متكامل. لماذا تكون هذه المستويات مختلفة في الدلالة.

لما وضعت هذه الفرضية واجه الباحثون في علم الدلالة تناقضاً :

ــ من جهة بعض اللسانيين ارتضوا قواعد التنظيم مهما كانت مفردات اللغة ومحتواها (الدلالات) : الكلمات ـ بالتأكد ـ ليست معزولة بعضها عن بعض في أذهاننا.

ــ ومن جهة أخرى، كثير من اللسانين يرون أنه من العبث أن نظن أن هناك إمكانية التحليل الكامل للنموذج البنيوي لهذا التنظيم للدلات من خلال المعجم (مفردات اللغة).

بمعنى آخر حتى ولو كان هناك من السهل نسبياً بيان بعض الأقسام من مفردات اللغة المحددة كالمصطلحات الدالة على القرابة، والألوان، والرتب العسكرية وغيرها؛ إلا أنه يبدو من المستحيل ـ حتى الوقت الراهن ـ إيجاد تنظيم لبقية مفردات اللغة وهي الأغلبية الساحقة للمصطلحات التي نستطيع تركيبها. والقليل منها لا يوافق الطرق المستعملة حتى الآن للأقسام المركبة.

لنأخذ بالاعتبار ـ على سبيل المثال ـ ما أطلق عليه علم النحو التقليدي: (الصرف)، أو صياغة الكلمات بواسطة سوابق ولواحق مع (لجوء مستمر إلى أصل الكلمة) كما هو الشأن في سلاسل مثل:

enseign - er	boulange - rie
- ons	charcute -
- ant	armure -
- ement	verre -
etc	etc
ensign - ons	Casse - tete
chant -	- noisettes
cri -	- pied
dirige -	- pipe
etc	- ect

أو مجموعة الاشتقاقات مع (able) أو المركبات في (Super) ـ (ment) ـ (in) وهكذا. إنها أيضاً حالة الحقل الاشتقاقي لقسم مفردات اللغة الدالة على الحيوانات الأليفة، كتلك التي أثبتها (جورج مونان) (Georges Mounin) في كتابه (مفاتيح علم الدلالة) (1972 ص132).

ملاحظة سلاسل متماثلة تشير ـ على الأقل ـ إلى وجود بنية لبعض الوحدات المعجمية. هذه النظم المعجمية والدلالية تنطلق من معطيات موضوعية ولسانية بحتة: الدوال أو الشكل الخارجي للكلمات وهنا تكمن القيمة الرئيسية لعنصر التحليل. والصعوبة التي تواجهنا هو أن نقع ـ من حيث الأساس ـ في محضور أن نركّب ونبني دوال مفردات اللغة،

Nom Specifique	ane	cheval	Mulet	Boeuf	chevre	porc	cochon	chat	chien	lapin	poule	canard
Femelle	^aesse		mule		chevre			chatte	chienne	lapine	poule	cane
jeune	ânon				chevreau	porcelet pour-ceau	cochonnet	chaton	chiot	lapercau	poulet	caneton
parturition					chevreter		cochonner	chatonner	chicenner	lapiner		
Gardien specifique	^anier		muletier	bouvier?	chevrier	porcher						
Derivation adjectivable		chevalin	mulasier	bovin?		porcin						
local d'elevage				bouverie		porcherie	cochonnier		chenil	lapiniere	poulailler?	

N.B : le ? in dique les derivations non productives ou peu productives dont on peut se demander si elles sont percus generalemment .

- علامة الاستفهام تدل على الاشتقاق

ونحن نعتقد أنها تتعلق ببنية المدلولات، والشيء نفسه بالنسبة لبنية الدوال التي توافق التنظيم الغامض لمدلولات هذه الوحدات.

ملاحظــة:

علامة الاستفهام في الجدول تدل على الاشتقاقات غير المنتجة أو المنتجة إلى حد ما، التي يمكن أن نتساءل إذا كانت مطروقة بصورة عامة.

وبما أن علم الدلالة يهتم أولاً وقبل كل شيء بالعناصر المعجمية للغة، هذا التصور للدلالة يقترب من بعض الجوانب من علم الألفاظ (المفردات)؛ يعني من دراسة مبادىء وطرق المعجمية (التي تعرف كتقنية الإعداد لما يسمى بالتحديد معاجم اللغة).

في الواقع يمكننا أن نفترض بأن المعرفة المثلى لصيغ الإعداد لمدلولات الكلمات تقودنا بوجه الاحتمال إلى تحسين معاجم اللغة. إلا أن اللجوء إلى الكلمة كوحدة للتحليل الدلالي لا تمر دون أن تسبب صعوبات أو مشاكل.

ب ــ الكلمة وحدة للتحليل: بعض الصعوبات:

لو نتفحص كلمات مثل (طاولة) (Table) و (مكتب) (Bureau) و (كرسي) (Chaise) ومثل: (بـ) و (عن) و (على) (par) ومن أجل، بدل من (pour) و (و) (et) فإننا ندرك أن الكلمات الثلاثة الأولى ليست تماماً من طراز واحد كالكلمات الثلاثة الأخيرة من حيث النظر إلى دلالتها؛ وهنا يمكن التمييز الذي تنبه إليه اللسانيون منذ زمن بعيد: بعضهم تكلم عن الكلمات الملأى والكلمات الفارغة وبعضهم تكلم عن الكلمات الملأى والكلمات الأداة، وبعضهم تكلم عن

الكلمات الملأى والكلمات الوظيفية إلى آخره.

مهما كان المصطلح المستعمل فإن الفرق يبدو جلياً في الطبيعة وهو الذي يتيح التعامل النوعي لكل واحد من هذين الصنفين.

باستطاعتنا إذن أن نتكلم عن الدلالة المعجمية والدلالة النحوية آخذين ذلك كمعيار للتمييز.

في الحقيقة المعجم يتعلق من ناحية بجرد محدود، وكل يوم تنشأ لفظة معجمية جديدة ومن ناحية ثانية فإنه يعلق بأقسام مغلقة (قائمة حروف الجر مثلاً مغلقة نسبياً) ويبقى الجدل قائماً.

الصعوبة الثانية نشأت بسبب أن الكلمة وحدة معينة وبوضوح، مثلاً: Mappe du Monde/ Mappemonde من الطبيعي أن الكلمة مطروقة ككلمة وليس الحال نفسه بالنسبة لـ (Mappe du Monde) والسبب أن الكلمة من اتفاق (اصطلاح) للغة المكتوبة والفوارق بين الكلمات ليست إلا اصطلاحية (اتفاقية).

هناك عنصر آخر يضاف إلى الصعوبات السالفة الذكر وهو أن بعض الكلمات تكون غير واضحة، في حين أن هناك كلمات أخرى شفافة؛ والكلمة الشفافة هي الكلمة التي تكون دلالتها الإجمالية محددة من قبل عناصرها الأساسية مثلاً في (Maisonnette) تصغير منزل، اللاحقة (ette) تدل على التصغير، ولكن هذا ليس مطرداً فمثلاً (Tablette) ليست طاولة صغيرة إذن ليس من السهل تحديد الأقسام المهمة للكلمة بدقة.

فيما يخص بعض الكلمات غير مؤلفة العناصر هي ذاتها معبرة، مثل (فاكهة) (Fruit) وزهر (Fleur) ومطر (Pluie) إلى آخره.

في الواقع هناك عائق آخر في تحديد الكلمة كوحدة للتحليل الدلالـي، وهو وجود ثغرات أو فراغات في اللغة، مما يجرنا إلى اللجوء إلى الإطنـاب وذلك مثل الطريقة التي تعبر عنها اللغة الفرنسية عن بعض صغار الحيوان، وهي ليست منتظمة، وذلك مثل (قط) (Chat) وقطيطـة (Chaton) وجـرو (Chiot) وأسـد (Lion) وشبـل (Lionceau).

هذه الكلمات لها ما يقابلها في التصغير؛ في حين أن هناك كلمات أخرى ليست لها مصطلحات دالة على صغير الحيوان، وذلك مثل: البرنيق (L'hippopotame) وفهد (Léopart) والكركدن، وحيد القرن (Le Rhinoceros).

في التصغير في مثل هذه الكلمات، لا بد من اللجوء إلى الإطناب على طراز (الفهد الصغير) (Bébé Léopart)... إلى آخره.

يوجد هنا إذن وحدتان للدلالات للتعبير عن حقيقة واحدة.

أما من جهة الصيغ الاصطلاحية التعبيرية مثل (شعر بالخوف) (Avoir Peur) فإنها تمثل نفس النموذج من الصعوبات.

وخلاصة القول: إنه ليس من السهل أن نذهب إلى أن الكلمة باستطاعتها أن تكون كوحدة للتحليل الدلالي. حتى وإن استعملها الدلاليون والمعجميـون بسهـولة، فإن الوصول إلى بحـث ملائم للدلالة يقتضي عدداً من الاختيارات فيما يخص الصعوبات التي أثيرت آنفاً.

2 ــ الجـملــة:

أ ــ الجملة موضوع أول للدلالة:

بالنسبة لبعض الدلاليين ـ كما رأينا من قبل ـ، الدلالة يجب أن تهتم أولاً وقبل كل شيء بالكلمة، في حين هناك آخرون يرون أنه حتى ولو كانت دلالة الكلمات لها أهميتها ولها الأفضلية إلا أنها لا بد أن تكون موافقة لدراسة الدلالة على مستوى التعبير.

بمعنى آخر، الذي سيكون أساسياً في الدلالة هو الطريقة التي تترتب وفقها معاني الكلمات لتكون معنى جملة ما (المعنى والدلالة هنا مترادفان). مثلاً لو أتينا بجملة: الرجل يعطي نقوداً إلى الولد فإن هذا القول مكون من الوحدات المعجمية الأساسية لقولنا: الولد يعطي نقوداً إلى الرجل.

إلا أن المعنى يختلف في الجملة الأولى عنه في الثانية.

كما يطرح على مستوى البنية السطحية للغة مشكل العلاقة بين النحو والدلالة.

ب ــ دور دلالـة الجملـة:

منذ زمن حديث نسبياً انطلق أنصار دلالة الجملة من فكرة أن دور الدلالة يرتكز على كشف إمكانية تأليف المعنى الإجمالي للخطاب انطلاقاً من معنى الوحدات المعجمية؛ من أجل هذا تعلق الأمر بملاحظة وتحليل القول الذي أنتجه فعلاً المتكلمون بناء على مجموعة قوانين.

منذ عدة سنوات قُدمت بحوث في مجال الدلالة واسعة وواسعة جداً من قِبل بعض الباحثين، وذلك مثل جيرولد كاتس وفودر (Jerroldj Katz et Fodor) في 1963 م في مقالتهما (بنية النظرية الدلالية) (The

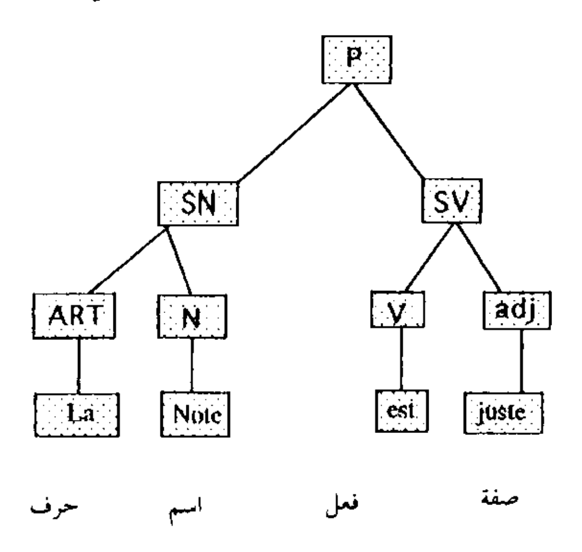
والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية (Structure of a Sematic Theory في سنة 1966 ـ 1967 م بعنوان:

Structure d'une Theorie Sémantique avec Application)

هذه (au Français (بنية نظرية دلالية مع تطبيقات من اللغة الفرنسية) النظرية عينت أربعة أدوار لنظرية دلالية.

الـــدور الأول:

كشف الإيهام (الغموض) غير النحوي؛ كالقول على سبيل المثال (المـلاحظـة صحيحـة) (La Note est Juste) فـي إطـار القـواعـد التشومسكية البنية النحوية لهذه الجملة تكون كالتالي:



حرف اسم فعل صفة

ما لاحظه كارتس وفودور (Katz et Fodor) في هذه الحال، هو أنه حتى ولو كانت الجملة لا تحتمل إلا بنية نحوية واحدة إلا أنها غامضة. إلا أن الأمر يختلف لو تعلق بعلامة موسيقية أو حساب.

إن علم الدلالة في هذا الإطار هو الذي يأتي لكشف هذا النموذج من الغموض غير النحوي.

الـدور الثانـي: تعيين عدد التفسيرات للجملة:

في جملة مثل (الملاحظة صحيحة)(La Note est Juste) ومع ذلك فهو غالٍ جداً (La Note est Juste mais c'est quand même trop cher).

يمكن للمتكلم أن يوضح هذا المثال ويزيل الغموض لبعض أقسام هذه الجملة، وذلك بمساعدة الأقسام الأخرى، ومن هنا يحدد عدد التأويلات الممكنة للجملة.

الـدور الثالـث: كشف الشذوذ الدلالي:

إن جملة مثل (فَنُّ الرسم صامتٌ) بالنسبة لمتكلم فرنكوفوني[1] هي بالتأكيد جملة شاذة (أي أنها تمثل شذوذاً دلالياً)؛ لكن المتكلم الأجنبي لا يتوصل في كل الحالات إلى التحقق من ذلك، وعلى رأي كاتس وفودور) هذا يتعلق بالنظرية الدلالية والقدرة على كشف نوع الشذوذ.

الـدور الرابـع: تكوين بعض الجمل سواء أكانت تفسيرية أم غير تفسيرية:

كل متكلم فرنكوفوني يمتلك مهارة في تكوين بعض الجمل سواء أكانت هذه الجملة تفسيرية أم غير تفسيرية لجملة أخرى.

مثلاً نتصور جملة مثل: (الملاحظة صحيحة، أو الإعلان صحيح) (La Note est Juste) تتضمنها رسالة متضمنة داخل رسالة المتكلم.

في هذا المضمار وبعد عدة سنوات جرب تحديد نماذج الخواص الدلالية، والتي مكنت النظرية الدلالية أن تعيد الاعتبار إلى أنه كلما كثر

(1) دارس للغة الفرنسية.

شرح الغموض والشذوذ والتفسير، أو تحديد عدد التأويلات الممكنة للجملة كلما اهتمت النظرية الدلالية بمقتضى ذلك:

ـ بالتعبيرات المتناقضة مثل: أختي غير المتزوجة متزوجة من أعزب.

ـ بالعلاقات بين التعبيرين مثل: كثير من الطلبة لم يستطيعوا الإجابة عن السؤال هناك قليل منهم من فهم السؤال. كما تهتم بالعلاقات التضمينية أو الافتراضات مثل: كم من الوقت أقام أحمد في كيباك (Quebec)؟ كم دامت فترة إقامة أحمد في كيباك؟.

يُحتمل أن أحمد أقام في (كيباك) فترة من الزمن بالنسبة لبعضهم الدلالة بإمكانها تحليل هذا النوع والتحليل يكون هنا خاضعاً للمنطق ولا بد من التمييز بين صنفين من الحقائق:

ـ الحقائق الضرورية المبنية على العلاقات المنطقية.

ـ والحقائق المحتملة المرتبطة بالعالم الواقعي (بالواقع).

مثلاً نقول: إن كل الأحياء ليسوا ميّتين هذا نموذج للحقيقة المنطقية أو تسمى الحقيقة التحليلية. على عكس قولنا: إن كل الأحياء سعداء هذا يتوقف على الحقيقة الملاحظة وليس على تحديد وحدات الجملة وهذا ما يسمى بالحقيقة التركيبية (التأليفية).

في هذه الحالة الأخيرة نقول عن الجملة إنها تركيبياً صحيحة إذا اعتبرنا ـ بعد تقصي الحقيقة ـ أن كل الأحياء هم فعلاً سعداء.

في حين أن اعتماد هذا النموذج من التحليل يتضمن الموافقة بالاعتقاد أن دلالة لغة طبيعية إنسانية يمكنها أن تقتصر على دراسة علاقات النموذج المنطقي.

جـ ـ صعوبة دور المحلل الدلالي:

كما رأينا ليس من السهل تحديد المقصود من معنى الكلمة بدقة، بالإضافة إلى أن الدلالين لم يتفقوا فيما بينهم حول الموضوع الأول للدلالة (معنى الكلمات أو معنى الجمل) والذين اختاروا الكلمة كوحدة للتحليل واجهتهم أزمات كبيرة في حين الذين اهتموا بالجملة نسبوا إلى النظرية الدلالية أبعاداً متنوعة.

علاوة على هذه المسائل المعالجة، فإن الذي يعقّد دور الدلالي هو حقيقة أن اللغة في كثير من الأحيان تستطيع أن تقتصر في بعض الحالات على توصيل ونقل الأخبار وذلك في مثل الجمل الاستفهامية التي ـ غالباً ـ ما تجر إلى الطلب بدل نقل الأخبار. وكذلك هو شأن صيغة الأمر التي لا نستطيع أن نقول على الإطلاق أنها تؤدي إلى نقل الأخبار فقط.

وهذا نموذج تعبيري استُعمل دلالياً لإعطاء أمر «تعيد لي هذا العمل في خلال عشر دقائق؟» زيادة على ذلك فإننا نستعمل كثيراً الكلام لا لأجل التبليغ ولكن لكي نؤثر في الناس ونقنعهم فبعض الكلمات مستخدمة لا لشيء سوى من أجل الأثر الذي يمكن أن تحدثه، خاصة في مجال السياسة، مثلاً معاملة أحد أعضاء حزب معارض (فاشي) (أو متعاون مع العدو) لا تهدف إلا إلى الاستنكار أو الإهانة فما موقفنا في التحليل الدلالي لهذا النموذج من الاستعمال؟.

يضاف إلى ذلك أو إلى الصعوبات السخرية في استعمالات اللغة، فمثلاً لو قلنا لأصلع: من هو حلاقك؟ كيف تكون معالجة اللغة لمثل هذه الاستعمالات اللغوية؟.

د ــ اللغة ونظرة العالم:

تعميقاً للمفهوم السوسيري للقيمة، نتحقق من أن الكلمة الإنجليزية (عنب) (Grape) مثلاً تعني الفاكهة الطازجة (فاكهة الكرمة)، في حين أن الكلمة (Raisin) تعني العنب الجاف هذا في اللغة الإنجليزية.

أما في اللغة الفرنسية فلا نجد إلا كلمة واحدة للدلالة على النوعين هي (Rasin).

اللغة الإسبانية من جهتها تميز بين السمك الحي (العائش في الماء) والسمك الموجه للاستهلاك، وذلك بفضل الكلمتين (Pez, Pescado) على عكس اللغة الفرنسية التي لا تمتلك إلا كلمة واحدة (سمك) (Poisson).

نستطيع أن نقول اللغة الفرنسية في حالتي كل من (Raisin) و (Poisson) لها كلمة واحدة للتعبير عن المفهومين.

تبعاً لهذا الاستدلال نستطيع أن نستنتج أن الكلمة الفرنسية (نخلة) (Palmier) تعني ستين مفهوماً، والسبب هو أن اللغات الإفريقية تعرف نحو ستين صنفاً من النخيل.

والمشكل نفسه في حالة كلمة (ثلج) (Neige) هذا المصطلح يتعلق في اللغة الفرنسية بفكرة واحدة شاملة؛ إلا أنه عند الإسكيمو هناك كلمات مختلفة للدلالة على الثلج، الثلج المتساقط، والثلج على الأرض، والثلج المتجمد، والثلج الذائب، والثلج المغبر... الخ. هذه المسائل موجهة للنظر في مشكل تجزىء الحقيقة الصرفة لكل لغة وهو ما يسمى عادة بفرضية (Sapir Whorf) أو بكل بساطة فرضية (وورف)..

إن فرضية (وورف) (Whorf) تستطيع أن تعبر كذلك عن البنى اللسانية المحددة، أي المعينة مسبقاً، حيث توجه وكذلك تنظم نظرتنا إلى العالم.

يحدث في بعض الأحيان أن استعمال كلمات معينة يقود أو يوجه سلوكنا وجهة معينة مثلاً الناس الموجودون بالقرب من (خزان وقود) يأخذون كثيراً من الحيطة، وعلى العكس لو كان مكتوباً على الخزان بأنه (خزان بنزين فارغ) نجد أن سلوك الناس في هذه الحالة يكون مغايراً (هادئاً)؛ وذلك نظراً لوجود كلمة (فارغ) التي توحي بغياب الخطر مع أن الخزانات الفارغة أكثر خطراً لاحتوائها على البخار المتفجر.

وما عناه (وورف) (Whorf) تعميم مسرف، بأن بعض الرؤى العالمية في اللغات الهندية الأمريكية تكون متعذرة على بعض الشعوب.

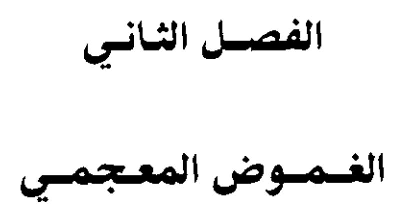
فمن الخطأ الاعتقاد بأن لغة كالفرنسية مثلاً لا تستطيع التعبير عن الهيئة أو الحال كالزمن الاستمراري والزمن المؤقت بمساعدة الاسم إلا أننا نلمس في بعض اللغات وضوح الحال أو الهيئة في الأسماء كما في الأفعال، وذلك مثل لفظ منزل والفعل يجري، وقد أرجع (وورف) ذلك إلى أهمية الكلمات.

لو نحلل جيداً ما يجري في اللغة الفرنسية سرعان ما ندرك أن الصنف النحوي (القاعدي) للهيئة أو الحال المشترك مع الفعل عادة يُعثر عليه في بعض الأسماء والهيئة أو الحال تكون اسمية في كلمات أو عبارات مثل: بذر، وقمح، ومولود جديد، وخطيبة، . . . إلى آخره. وكذلك كيف يمكننا أن ننكر العلامة الاسمية المؤقتة في مثل: صهر مستقبلي، صهر، أم شابة، أم. . . إلى آخره.

إذن كل شيء يؤدي إلى الاعتقاد بأن الرؤى العالمية حسب الظاهر خاصة باللغات الهندية الأمريكية، وكلها سهلة البلوغ بالنسبة للغة الفرنسية.

بهذا الفرق القريب من أن الفرنسي يعبر من خلال اختياراته على المستوى المعجمي بما يعبر عنه (الهوبـي) (Le Hopi) من خلال إخضاعه لقواعد اللغة.

ولو قلبنا القضية فإننا نستطيع أن نتصور لو أن لسانياً هوبياً (Hopi) حلل البنى للغة الفرنسية في ضوء لغته الخاصة، فإنه ـ لا محالة ـ يستنتج رؤى للعالم بخاصية غريبة جداً. كل ما نستطيع أن نستنتجه من هذا كله هو تأكيد حدث معروف جداً في مجال اللسانيات هذا إذا كانت اللغة تكوّن تقطيعاً (تجزيئاً) استثنائياً للحقيقة.



الفصل الثاني

الغموض المعجمي

لتحديد وحدة معجمية لا بد أن تكون العلامة المدروسة لا تتضمن أكثر من مدلول واحد. مثلاً لمعالجة كلمة (كرسي) نقابلها ببقية الكلمات التي تدل على أصناف المقاعد لا بد أن نحصل على معنى أو معاني الكلمة التي لا تعود إلى نفس المجال. لا بد من إيجاد معنى (كرسي) بما أنه أساس أو بنية مكونة من مجموعة قطع ومدعمة بجهاز، كما في كرسي قبة الجرس، أو كرسي طاحونة، أو كرسي رحى. . . إلى آخره.

في الواقع الكلمات الأحادية الدلالة نادرة جداً وهنا تكمن صعوبة لا بد للدلالي أن يحاول إدراكها.

أ ـ تعدد المعاني والجناس:

إن مشكل تحديد مختلف دلالات معاني الكلمة يثار في ظل مصطلح الجناس وتعدد المعاني ويعرف تعدد المعاني بأنه: «الدال الذي يعطي عدة مدلولات ترتبط فيما بينها بعلاقة ما».

أما الدول التي تعطي عدة مدلولات لا ترتبط فيما بينها فهو ما يعرف (بالمجانسة في الإملاء أو المماثلة الصوتية) مثلما هو الشأن في المعاجم المألوفة.

فمثلاً كلمة مكتب (Bureau) تعد كمشترك لفظي لو أن المعجمي لاحظ أن هناك علاقة بين المكتب بما أنه طاولة عمل وبين المكتب كمكان يعمل به الموظفون، ولو شعرنا أن هناك علاقة بين المدلولين فإننا نقول: إنه يتعلق بالجناس.

هذا التصور للغموض المعجمي يُنقل عادة في المعاجم بالطريقة التالية:

الكلمتان المتمايزتان دلالياً (يعني الجناس) تكوّنان موضوع المادة المنفصلة على عكس علامات المشترك اللفظي؛ يعني الذي تمثل فيه المدلولات قاسماً مشتركاً عاماً يشكل بعنوانين مختلفين؛ مثلاً هناك تفسيرات لكلمة (إضراب) (Grève) التوقف عن العمل، وضفة الشاطىء.

الخاصية الاصطلاحية للحلول الاختيارية بالنسبة للمعجميين صدر منها أن معايير التمييز بين الجناس وتعدد المعاني ليست دائماً ناجعة.

والقاعدة العامة في التطبيق هي أن الاشتقاق هو الذي يعطي المعيار القاطع للمادة، وذلك كما جاء في كلمة (طريق) الفرنسية (Rue) و (Rue) نبتة، الكلمتان ليس لهما أصل مشترك؛ لأن الأولى من الكلمة اللاتينية (Ruga) في حين أن الثانية من الكلمة اللاتينية (Ruta).

أما الكلمة (Fugue) قطعة موسيقية، و (Fugue) الهروب فتنحدران من أصل إيطالي واحد وهو (Fuga).

حتى ولو كنا ـ فرضاً ـ لا نلمس أية نسبة تاريخية بين (Gève) بمعنى الشاطىء، و (Gève) بمعنى التوقف عن العمل، فإنه تبقى هناك معرفة تاريخية تبين سبب تبادر معنى (Gève) (التوقف عن العمل) إلى الذهن دون المعنى الأول (الشاطىء). السبب يعود إلى أن العمال الباريسيين العاطلين عن العمل يتجمعون بساحة (Gève) على حافة نهر السين.

المشكل هو أن الكلمات ذات القرابة اشتقاقياً تبدو لنا الآن اعتباطية تماماً.

أما من جهة معيار التعبير الشكلي المستعمل (الكتابة) في بعض الأحيان فليس مضموناً مثلاً (Conte) بمعنى يحوي، و (Compte) بمعنى يحسب، الكلمتان من الجناس.

لكن هناك تعبير متباعد في مثل (Dessin) رسم و (Dessein) تصميم.

لا نستطيع في مثل هذه الحالة إخفاء القرابة الاشتقاقية للكلمتين.

أما في حالة الدالين المتماثلين والمختلفين من حيث المدلول فإن المدلول ـ ولا شك ـ يتنافى مع تبادل المدلولين لنفس السياق. مثلاً: هروب (Fuite) و (Fugue) هو عنصر لفصيلة متضمنة لوحدات كـ (Fuite) و (Escapade) إلى آخره. على أن (Fugue) (قطعة موسيقية) تشكل جزءاً مختلفاً تماماً وهو مدرج ضمن كلمات كـ (Sonate) (لحن موسيقي) و (Canon) (تناغم صوتي) إلى آخره.

في قولنا: أعطني القلم، وأعطني الدفتر. القلم والدفتر بكل تأكيد وحدات مختلفة على عكس قولنا: إعطني القلم، هذا القلم لا يكتب جيداً.

نجد أن (قلم) تقابَل في كل استعمال من الاستعمالات بـ قلم جاف، قلم حبر (ريشة)... إلى آخره. إذن يتعلق الأمر في كل حالة بنفس الوحدة المعجمية.

إلا أنه في قولنا: «تفسير هذه القطعة الموسيقية عظيم» (وأفضل الألحان الموسيقية للقطع الموسيقية). ليس هناك شك في أن (Fugue) القطعة الموسيقية ـ فيما ذكرناه آنفاً ـ لا توافق وحدات (Fugue) في المثالين التاليين:

Les fugues de cet enfant sont fréquentes

هروب هذا الطفل متكرر.

وفي Au cours de sa fugue it a perdu son portefeuille

في خلال هروبه ضيع محفظته.

ب ــ المعنــى والاستعمــال:

إن مشكلة الغموض المعجمي لا ينظر إليها دائماً من زاوية تعدد المعنى أو الجناس؛ ولكن هناك بعض المهتمين بتنوع المعنى للكلمة الواحدة. وأحسن صيغة تمثل هذا الاتجاه هي (الكلمة ليس لها معنى خارج السياق).

وهذا يؤدي بنا إلى القول: إن الكلمة لا يتضح معناها إلا من خلال الاستعمال، وبناء على هذا يمكن القول: إن معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها. وللبرهنة على ذلك يمكننا أن نأتي بمثال: كلمة (طاولة) هذه الكلمة تبدو ـ حسب الظاهر ـ بسيطة. ما معنى هذه الكلمة؟.

لا نستطيع تحديد معناها ما دامت غير مدرجة ضمن سياق معين، وهذه الكلمة تأخذ معاني مختلفة باختلاف السياقات الواردة فيها. مثلاً:

السياق 1 = Table de salle à manger

طاولة الأكل

السياق 2 = Table de mathématiques

جدول الرياضيات

السياق 3 = Table de Nuit

طاولة غرفة النوم

السياق 4 = Table d'Opération

طاولة العمليات

السياق 5 = Table tournante

طاولة متحركة

السياق 6 = Table Rase

لوح مصقول

السياق 7 = Table alphabetique

جدول أبجدي

السياق 8 = Table de Matières

جدول المواد

السياق 9 = Table Ronde

مائدة مستديرة (اجتماع أو ندوة)

السياق 10 = Table d'écoute

جهاز التصنت في التليفون

السياق 11 = Table de Négocations

طاولة المفاوضات

السياق 12 = Table de logarithmes

جدول اللوغاريتم

السياق 13 = Table de Travail

مكتب.

إلى آخره من السياقات.

في المجال النظري اللجوء إلى الاستعمال يعود إلى نفي الاحتمال نفسه أو الإمكانية نفسها لكل الدلالات؛ لأن عدد السياقات الممكن

تصورها لوحدة دلالية محـدود. بالإضافة إلى وجود سياقات قابلة للإدراك بقدر المعاني.

في التطبيق القسم الأكبر للمعجمية تهيمن عليه نظرية الاستعمال؛ وذلك هو الشأن بخصوص كنز اللغة الفرنسية الضخم (معجم اللغة الفرنسية المعاصر) (Larousse 1966) (Larousse 1975) وإلى حد ما معجم (Robert).

في هذه الحالات كلها التمييز بين المعاني المختلفة لكلمة واحدة ينظر إليه كانعكاس للتمييز اللساني الشكلي.

هناك توضيح آخر لنظرية الاستعمال يكون في الفرق الدلالي بين مصطلحين يبدوان مترادفين (تماماً)، والسياق هو الذي يوحي بذلك؛ فمثلاً نقول: منقار حاد أو منقار مدبب دون تمييز؛ إلا أننا نقول: حذاء مدبب ولا نقول: حذاء حاد. ونقول: تنازع حاد. ولا نقول: تنازع مدبب.

هذه الأمثلة توضح نطاق معنى الكلمة الذي لا يتحدد إلا من خلال استعمالته.

غير أنه على الرغم من الدور الذي لعبه السياق (أو الحالة أو الوضعية غير اللسانية) في تحديد تنوع المعنى لوحدة معجمية إلا أنه يبدو من الأفضل التسليم بأن الكلمة تمتلك عدداً من الافتراضات أو التضمينات الدلالية؛ يعني إمكانية تحقيق المعاني.

جـ ـ مظاهـر الغمـوض:

الكلمات التي لا تتضمن إلا معنى واحداً نادرة في اللغة، وأغلبية الوحدات المعجمية تمتلك أكثر من معنى.

أين تكمن أهمية مسألة الغموض المعجمي؟ عند كثير من اللسانيين الغموض يعرف بإعطاء الكلمة أكثر من شرح أو تفسير.

أما بالنسبة لنا فإننا نعتقد بوجود الغموض ـ عادة ـ عندما تُطرح مشكلة الاختيار في التخاطب بالنسبة للمتلقي[1].

في الواقع في حالة الاتصال اللساني عادة لا وجود للجناس بالنسبة للمتكلم، فالذي يقول /So/ مثلاً يعرف مسبقاً إذا كان يريد (Seau) الدلو، أو (Sot) أحمق، أو(Sceau) ختم.

أما بالنسبة للمستمع أو المتلقى فإنه يصادفه مشكل الاختيار، إذا وجد نفسه في وضعية استحالة إعادة إنشاء الاختيارات لمخاطبه. هاته الاختيارات التي تنتهي إلى إعطاء أولوية مغزى كلام عن مغزى كلام آخر، وإمكانية إعادة الإنشاء من قِبل المستمع لاختيارات المتكلم تكون في ظل قانوني لساني.

بمعنى آخر، أنه حتى لو بدا لنا ذلك بديهياً فإنه لا بد من معرفة أن الغموض اللساني متعلق بقائمة الوحدات في حالة صعوبة فك رموز الاختيارات اللسانية. إذن لا نخلط بين المرجع والدلالة؛ إلا أن التمييز لا يجعلنا نعتقد بعدم وجود أية رابطة بين الاثنين.

وفي حالة الضمائر أو أسماء الأعلام الحدث الذي نجهله هو: من يقول؟ وماذا يقول؟ ولمن يقول؟ في تعبير خارج السياق وخارج المقام مثله: هو قال له. هذا القول لا يحوي أي غموض على مستوى المعنى؛ إنه لا يتعلق إلا بغموض على المستوى المرجعي، ولو كان عكس ذلك فإنه يتحتم الإفضاء إلى إجازة القول بأن كل جملة مؤلفة من فاعل

(1) المستمع.

(ضمير الجمع) مثل: (قالوا لنا شيئاً) تكون غامضة تماماً.

في الضمائر يتعلق الغموض بعدم تحديد الأشخاص، أما في كلمة مثل (بيت) هذه الكلمة تتعلق بوحدة معجمية غامضة، حيث لا علم لنا بعدد الغرف في هذا البيت، ولا عدد الساكنين، وتحديد التمركز... إلى آخره.

المقـام والغمـوض:

بالنسبة لـ (بلومفيلد) ـ الذي كان مرجعاً للسانيات السلوكية التي سيطرت على الساحة الأمريكية ما يقارب أربعين سنة (من العشرينات إلى الستينات) ـ دلالة الصيغة اللسانية تُحدّد بمقتضى المقام (الحال) ـ التحديد نفسه يثير مشكلة دور الحالة أو الوضعية غير[1] اللسانية في التفسير الدلالي للتعبير.

أما بالنسبة لـ (كاتس وفودور) (Katz et Fodor) فإن الجملة لا تستطيع أن تأخذ تفسيراً في محيط لساني أو اجتماعي ما لم تكن قد أخذته عندما كانت معزولة أو بعيدة عن السياق.

تحدد تفسيرات الجملة بحسب المحيط، فيكون انتقاؤها من ضمن التفسيرات التي أخذتها على انفراد، وهذا يبعد الوضعية أو المقام خارج إطار اللسانيات. وذلك مثل جملة: (النوتة صحيحة) لو قيلت في قاعة الموسيقى، أو في مطعم.

بناءً على ما تم توضيحه تجدر الملاحظة إلى أن الاستعمال العادي للغة لا تتخلله صعوبة التفسير إلا استثناءً، على اعتبار أن كل تعبير يُقدم ضمن عالم من الخطاب الخاص؛ أي في مجال أو سياق معلوم ومحدد.

---

(1) خارج اللسانيات.

ولكن بعض الغموض الحقيقي الذي يتحقق على مستوى العرض للخطاب يكون معزواً إما إلى عدم إدراك أو فهم واقعي وغير إرادي بين متحاورين، وإما أن يكون معزواً إلى رغبة مقصورة على دراسة الغموض بصفة تبرز التلاعب بالكلمات وتبديل مواقع الحروف الأولى في كلمتين أو أكثر للاستعمالات اللغوية ذات المعاني المزدوجة.

يبدو أنه من غير العدل الجزم بأن السياق اللساني والموقف أو الحالة خارج اللسانيات يبعدان ما يظهر من غموض، وما يحدثه الغموض اللغوي ليس إلا غموضاً محتملاً.

من هذا المنظار الممثل لإحدى مهام نظرية دلالية لا بد من معرفة الطريقة التي تحدث الاختيار من بين عدة دلالات ممكنة للوحدات المعجمية.

وجهة نظر (بريتو) (Prieto) جديرة بالووقف عندها.

فبالنسبة له نقطة الانطلاق لتحليل لساني حقيقي لا بد أن توضع ضمن وقائع مادية محسوسة: المعنى وفعل الكلام المعنى يعرف كعلاقة اجتماعية متماسكة يريد إنشاءها باث[1] (مرسل)، وذلك هو هدف كل عمل للكلام؛ أي إنشاء علاقة اجتماعية بين باث (أ) ومتلقى (ب)، مثلاً لإنشاء العلاقة الاجتماعية في الأمر بأن يأمر (أ) (ب) بأن يرجع إليه قلمه، إن (أ) ينطق أو يتلفظ بـ (رده لي). أعطيت مثل هذه الأمثلة في كتابات (Prieto) برموز صوتية.

في فعل كلامي بسيط نجد أن لفظة تقبل بعض المعاني وتستثنى بعضها الآخر، فلنفترض أن (ب) يملك قلمين: قلماً أسود وهو الذي

---

(1) باث ومرسل ومتكلم كلها بمعنى واحد.

يكتب به الآن؛ وقلماً آحمر هو في درج مكتبه.

نجد أن لفظة (أعطني القلم) التي تلفظ بها (أ) تقبل المعاني (طلب القلم الأحمر) و (طلب القلم الأسود) في آن واحد. وهذه اللفظة تستبعد أو تستثني (طلب الدفتر) و (طلب المسطرة)... إلى آخره.

ذلك إذن هو دور اللفظة في إقامة المعنى: إنها تقبل بعض المعاني وتستثني معاني أخرى.

إلا أن (بريتو) (Prieto) يواصل فكرته حول أن اللفظة وحدها غير كافية لإنشاء المعنى.

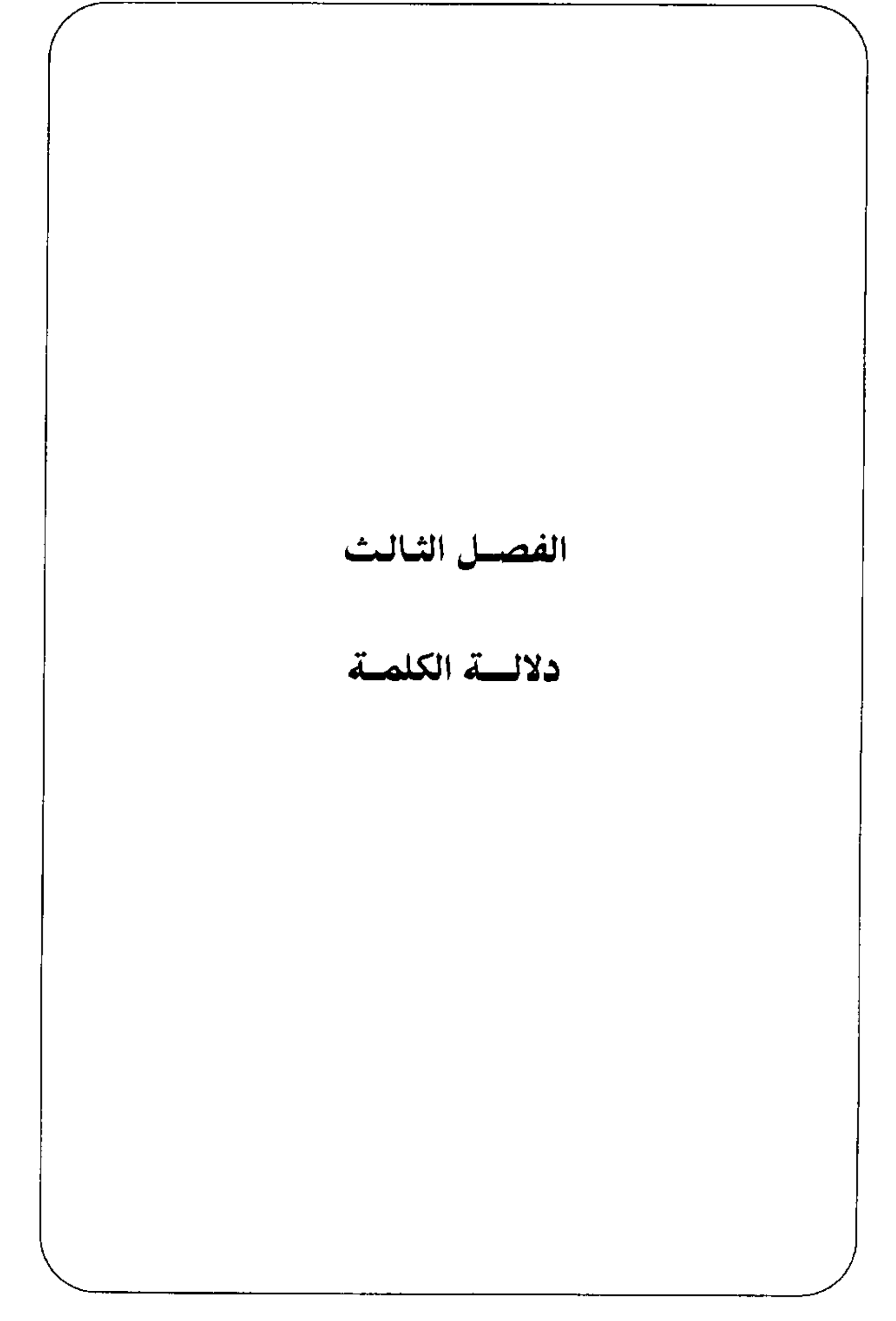
لو أن عبارة (أعطني القلم) تسمح بتقبل معاني مثل: طلب القلم الأسود، وطلب القلم الأحمر لم يبق هناك إلا حدث مقولي واحد يكون ناجعاً؛ يعني يكون غير غامض؛ إذ لا بد من استدعاء الملابسات والظروف التي يتم فيها الحدث الكلامي.

والوضعية هي التي تسعى وتعمل على توثيق معنى من المعاني المقبولة.

لو أن المتلقى كان يكتب بالقلم الأسود، وقلمه الأحمر في الدرج فإنه يفهم من السائل الذي يطلب منه القلم أنه يريد القلم الأسود.

وعلى رأي (بريتو) (Prieto) في كل حدث كلامي اللفظة الصوتية تقبل بعض المعاني وتستبعد معاني أخرى، والمتلقى يخصص للفظة معنى من بين المعاني الواردة كما تقتضيه الظروف.

من هنا نجد أن (بريتو) (Prieto) بين دور الوضعية التي لها قيمة غير لسانية، أو هي خارج اللسانيات إلا أنها تعد بمثابة عنصر هام في الحدث الخطابي أو التواصل اللساني.



الفصـل الثالـث

دلالــة الكلمـة

هناك اتجاهان عند علماء الدلالة:

الاتجاه الأول: ويتمثل في أن الجملة هي العنصر الأساسي للدلالة وأما الكلمة فما هي إلا عنصر جزئي من هذا الكل؛ أي أننا ننطلق من الكل؛ أي من الجملة التي نتوصل إلى تحديدها عن طريق معرفة المعنى الحقيقي للأقسام المكونة لهذا الكل.

إحدى بواعث هذا الاعتقاد هي كما بينا من قبل: إن معنى الجملة هو دائماً أكبر من قيمة معنى الكلمات التي تشكله. ونذكر هنا بالمثال: الولد يعطي درهماً إلى الرجل، والرجل يعطي درهماً إلى الولد.

أما **الاتجاه الثاني**: فيتمثل في أن دراسة معاني الوحدات منفردة لها حق الصدارة في دراسة العلاقات بين معاني الكلمات في السياق؛ لأن الكلمة هي التي تؤدي إلى بناء الجملة.

فيما يخص الدلاليين المهتمين بالجملة لاحظوا ضرورة مسألة الدلالة المعجمية لأن الكلمات تُستمد من المعاجم.

وبالتالي أصبح الأمر متعلقاً بمستويين للتحليل الدلالي، وبموجب ذلك تجدر الإشارة إلى أن جل الدلاليين البنيويين مهتمون بالكلمة، في حين أن نسبة كبيرة من الدلاليين التوليديين أعطوا لدراسة الجملة الأسبقية (من أجل الوصول إلى تحديد المعنى الذي تعالجه دلالة الكلمة).

فلا نعجب إذاً من تكريس هذا الفصل لدراسة دلالة الكلمة، والفصل الموالي مخصص لدراسة الجملة.

إن معظم الكتاب المدروسين يعدون دلاليين في عرف البنيويين (خاصة الأوربيين).

أ ــ الحقــول الدلالـيــة:

1 ــ فرضيــة تريــيـي (Trier):

يعود الفضل إلى الألماني (Jost Trier) في بلورة وتجميع الأفكار ـ بصورة متماسكة ـ لهذه الفرضية لقد نجح في بيان ما ظهر في عصره (حوالي 1930) وبلوره في منهج أو طريقة يمكنها أن تتلخص في:

ــ مجموع الألفاظ للغة معينة تكون مبنية على مجموعة متسلسلة لمجموعة كلمات أو (حقول معجمية)، كل مجموعة منها تغطي مجالاً محدداً على مستوى المفاهيم (حقول التصورات)؛ زيادة على ذلك كل حقل من هذه الحقول سواء أكان معجمياً أم تصورياً فهو متكون من وحدات متجاورة مثل حجارة الفسيفساء.

يرى (تريبي) (Trier) أن تصوراتنا تغطي الحقيقة كلها بضرب من أن التغيير في التصور يُحدث بالضرورة تغييرات في حدود تصور الآخرين.

وإذا كان هناك مشكل الحقل المعجمي فإن كل تغيير على مستوى المفاهيم ينعكس على مستوى الكلمات التي تعبر عنه، فالكلمات والمفاهيم علاقتها متبادلة.

في كتاب (تريـيـي) (Trier) (المفردات الألمانية في المقياس التصوري للإدراك) (Le Vocabulaire Allemand dans le Secture

Conceptuel) في هذا الكتاب درس (تريـيـي) الحقل التصوري للذكاء للغة الألمانية في العهدين القديم والمتوسط عند الكتاب الصوفيين للقرنين XIII و XIV.

يبين (تريـيـي) أن مفردات الإدراك هي مجموعة منظمة حيث تتماسك وتتحدد العناصر على طريقة الفسيفساء.

تقدم دراسة (تريـيـي) الفائدة من معرفة البنية لمفردات فترة معينة؛ إلا أنها تمثل بعض الصعوبات لأن مجالها محصور في المجال المتعلق بالفكر، والوظيفة المميزة لا توجد بالضرورة خارج ذلك. بتعبير آخر نقول: في المجال الفيزيائي والمادي كل شيء يؤدي إلى الاعتقاد بأنه على عكس ما نجده في الفسيفساء، مصطلحات كثيرة ومتداخلة.

بالإضافة إلى أن بحوث تريـيـي التي تنطلق من التصورات (المفاهيم) لا تهتم على الإطلاق بالتغيرات التي تؤثر ـ على مر العصور ـ على اللغة من جوانبها الصوتية والدلالية.

وخلاصة القول: إن الطريقة المستعملة تُظهر فوائد تخمينية أكثر مما هي علمية؛ لأن الباحث لم يعتمد على أي معيار معين يجعله يصنف الكلمات في حقل معلوم.

2 ـــ مشكلـة التحـديـد:

مهما كان أو يكن فإن الفرضية لنظام المدلولات في الحقول الدلالية سوف تعرض خطوة كبيرة عند الدلاليين فالأجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند مراحل البحث الدلالي لهذا النموذج.

في دراسة الحقل الدلالي يُطرح مشكل عويص على مستويات ثلاثة وهو مشكل التحديد:

ـ تحديد الحقل الدلالي.

ـ تحديد الوحدات التي تشكل قسماً من الحقل.

ـ تحديد الحقول فيما بينها.

أ ـ تحديد الحقل الدلالي:

لكي نفهم جيداً المقصود من «التحديد» لحقل دلالي نتصور أنفسنا مكان الدلالي من حيث تناول البحث ولاحظوا كيف يتصرف.

إنه يعتمد الفرضية التي بمقتضاها تكون البنية الدلالية مبنية من تجميع موحد للبنى.

القرار الأول المتخذ يكون له هدفه في المجال المدروس.

على سبيل المثال، هل يتعلق ذلك بدراسة المجال المعجمي لألوان النبات، أو يتعلق بدراسة القرابة المعرفية لوسائل النقل؟.. إلى آخره.

إن الإجابة عن هذين السؤالين قد تعود إلى الاتفاق أو المصادفة أكثر مما تعود إلى شخصية الباحث.

ب ـ تحديد الوحدات:

المجال المختار للدراسة يتعلق بتحديد الوحدات المعجمية، ما هي معايير التحديد المستعملة؟ نفترض مثلاً أن المجال المطبق عليه هو مجال الحقل الدلالي لكلمة (كرسي) (Siege) في اللغة الفرنسية. بمقتضى أي معيار يمكننا أن ندرج أو نستثنى كل كلمة من الكلمات الآتية: صديق حميم ـ غير مباشر ـ كرسي عاج ـ راعية ـ كرسي كبير ذي مسند مرتفع ـ قارب ـ كرسي الحديقة ـ أريكة المكتب... إلى آخره.

فيما يخص كلمة (صديق حميم) تتعلق بوحدة معجمية لا ترتبط

على الإطلاق بالحقل المقصود لأنها تتعلق بالأشخاص.

هل هذا يعني أننا لا نحتفظ إلا بالكلمات الدالة على نماذج الكراسي الجارية؟.

في هذه الحالة يمكننا أن نستثني كرسي العاج.

هل الحقل الدلالي للكراسي في اللغة الفرنسية في فرنسا يكون مطابقاً للحقل الدلالي للكراسي في اللغة الفرنسية في كيباك (Quebec)؟.

لو حالفنا الحظ هذه الأيام في فرنسا في هذه الفترة على إيجاد عدد كبير من الكراسي الكبيرة ذات المسند المرتفع، أو أرائك القيلولة فإن هذا لا يعني أنه توجد الأنواع نفسها في (كيباك) وبالتالي غياب أو عدم وجود هذا النوع من الكراسي يجعل عدداً قليلاً في أهل كيباك حالياً يعرفون هذه المصطلحات المتعلقة بهذه الأنواع من الكراسي.

ما الذي يمكن عمله في حالة اختراع شيء جديد هذا الشيء الذي يمكن أن نجلس عليه؟.

على سبيل المثال عندما ظهر في السوق نوع من الكراسي نعلقها بالسقف ونتمرجح عليها ظهرت وحدات مثل: كرسي ممرجح وكرسي معلق إلى آخره. وأصبحت هذه الوحدات دارجة في المحلات الخاصة بالأثاث. إلا أنه يحتفظ بوحدة في الاستعمال دون غيرها.

يضاف إلى ذلك التقطيع اللساني البحت للوحدات ذاتها: فـ (كرسي معلق) هل هو الكرسي الذي نعلقه أو كرسي معلق؟ السؤال ذو أهمية لأن نسبة الكراسي في اللغة الفرنسية مخصصة لمتوسط الوحدات المركبة والمشكلة بمساعدة (كرسي): كرسي المكتب، كرسي الحديقة، كرسي الرضيع، كرسي طويل، كرسي يطوى، كرسي

مهدهد، كرسي قلاب، كرسي عال، كرسي كهربائي. . . إلى آخره.

هذا فيما يخص وحدة (كرسي) والشيء نفسه ينطبق على العبارات المكونة من (كرسي) كرسي الرضيع، كرسي الدارجة النارية. . . إلى آخره. وكذلك أريكة متنقلة، أريكة الفرقة الموسيقية. . . إلى آخره.

والشيء نفسه مع (مقعد)، مقعد البستان، ومقعد البيانو، ومقعد الخانة. . . إلى آخره.

لا بد من التذكير هنا بأن اختيار وحدة معينة يكون محتملاً وذلك للتشكل في حقل دلالي مذكور سابقاً كما مر بنا.

فيما يخص المشترك اللفظي أو الجناس للوحدة المحتفظ بها، فلكي نستثني حقل الكراسي مثلاً ترد مختلف أنواع المعاني لـ (كرسي) :(Siège)

ـ الكرسي الاجتماعي	Siège social
ـ كرسي الحاكم	Siège d'un tribunal
ـ الكرسي الرسولي	Siège apostolique
ـ حكم المدينة	Siège d'une ville
ـ حالة الحصار	Un état de siège

جـ ـ تحديد الحقول فيما بينها:

على افتراض أننا نظمنا بعض الحقول الدلالية فإننا سنجابه مشكلة العلاقة لعدة حقول فيما بينها، بعبارة أخرى نقول: ما هي درجة وكيفية تداخل الحقول (إذا كان هناك تداخل) من خلال انحراف وحداتها؟.

على حد تعبير (ترييي) الوحدة المعجمية للغة معينة تبرز كسلسلة

للحقول المتجاورة دون أية ثغرة أو تداخل مثل الفسيفساء، ومع ذلك يبقى الجدل مطروحاً.

3 ـ وجهات نظر:

يعود الفضل إلى (ترييي) في تعميم التحليل داخل الحقل الدلالي، غير أنه منذ سنوات برهن الفيلسوف (جيل جاستون فرونجي) (Gilles Gaston Granger) على معظم الدراسات الحالية حول الحقول الدلالية في كتابه الموسوم بـ(محاولات في فلسفة الأسلوب) (Essai d'une philosophie du style 1968).

ومن وجهة نظر فرونجي لا تكون مفردات المسكن مثلاً متناولة لذاتها ومجردة عما يجب تحليله كما فعل (مونان) (Mounin)[1]؛ ولكن تكون المفردة مدرجة ضمن وجهات نظر مختلفة، مثل وجهة نظر البناء، ووجهة نظر الإسكان، ووجهة نظر الفن المعماري... إلى آخره.

هناك بعض الكلمات لها أكثر من حقل دلالي؛ أي توجد في أكثر من حقل في آن واحد وذلك مثل كلمة (بقرة) يمكنها أن تندرج وتوجد ضمن حقل الكلمات الدالة على الحيوانات ذات الأربع أي تصنف مع (خنزير، وأسد وقط...) إلى آخره.

وفي الوقت نفسه يمكنها أن تصنف ضمن الحيوانات المجترة، وذلك مع (زرافة، وجمل، وخروف... إلى آخره)، وهي ضمن الحيوانات الداجنة؛ أي تصنف مع (خروف وحصان ودجاجة... إلى آخره)، بالإضافة إلى تصنيفات أخرى.

---

(1) المقصود Georges Mounin - Clefs pour La Semantique صاحب كتاب مفاتيح علم الدلالة.

ولإيجاد مختلف التنظيمات لمجموعة المفردات نفسها التجأ (فرونجي) إلى الطريقة التوزيعية لـ (هاريس) (Harris) إلا أنه ـ مع الأسف ـ لم يركز على الاستعمال المحسوس للتحليل التوزيعي الهاريسي، ولا على مقاييس التعيين لوجهات نظر منطلق الدراسة ومع ذلك تبقى أصالة العرض لـ (فرونجي) جديرة بأن تؤخذ بعين الاعتبار.

ب ـ علاقات المعنى:

بالإضافة إلى الاهتمام بالعلاقات بين الكلمات داخل الحقل الدلالي المحدد فإن الدلالي مطالب بمعالجة بعض نماذج علاقات المعنى بين الوحدات المحددة.

ونحاول أن نأخذ نموذجين خاصين بعلاقات المعنى وهما: الترادف وعلاقة الاشتمال.

1 ـ الترادف:

بالمعنى الواسع الترادف يعني الكلمات التي تختلف في ألفاظها وتتفق في معانيها وذلك هو المعنى الذي أعطي للترادف في المعاجم المخصصة وبنفس المفهوم نتصور أن قائمة الكلمات المترادفة تكون طويلة نوعاً ما إذ لا نجد أقل من خمسين مصطلحاً يعطى كمترادف لكلمة مثل:

أخذ (تناول)	Prendre
أمسك (أخذ)	Saisir
قبض (أمسك)	Empoigner
التقط	Attraper
قبض	Capturer . . . إلى آخره.

في المعجم الخاص بالكلمات المترادفة لـ (بناك) (Bénac)، يتعلق الأمر بالكلمات التي يمكن التبادل فيما بينها؛ أي يمكن أن تحل كلمة مكان كلمة أخرى في تعبير واحد.

في علم الدلالة نلجأ عادةً إلى تعريف ضيق محدود للترادف وهو: الكلمتان اللتان تقبلان التبادل فيما بينها وذلك في كل السياقات أو الاستعمالات، وليس في تعبير أو استعمال دون تعبير أو استعمال آخر.

وهنا يطرح سؤال هو: هل هناك ترادف تام وكامل في اللغة؟ هل هناك كلمتان تدلان على نفس المعنى ويمكن تعويض واحدة مكان واحدة أخرى، والكلمتان تقبلان التبادل فيما بينهما وتحملان نفس المعنى في كل الاستعمالات؟.

قليل جداً من الدلاليين من يعتقد بوجود الترادف الحقيقي أو الفعلي.

لو نأخذ على سبيل المثال كلمتين مثل بطيخ أحمر (Pasteque) وبطيخ أحمر (Melon d'eau) فإن الكلمتين تدلان على نفس المعنى أو نفس الحقيقة هل نستطيع أن نقول: إن الترادف كامل أو تام؟ في الواقع حتى ولو كانت الكلمتان Pasteque و Melon d'eau تعوض إحداهما الأخرى في كل السياقات اللسانية فإن كل واحدة منهما خاصة بلهجة معينة للغة الفرنسية.

في كيباك (Le Melon d'eau) يستعمل على الأرجح لـ(Pasteque) هذه الكلمة التي يجهلها كثير من أهل كيباك. والشيء نفسه ينطبق على العدد سبعين؛ فالكلمتان (Soixante Dix) و (Septante) تدلان على

نفس العدد، ويمكن التبادل فيما بينهما في كل الاستعمالات أو السياقات اللسانية.

إن استعمال (Septante) يعود إلى لهجة فرنسية، وهذه الكلمة (Septante) مستعملة في بلجيكا وغير مستعملة في فرنسا أو كيباك.

وإذا كنا لا نهتم بالتمييز بين لغة ولهجة ـ عندما يتعلق الأمر بالترادف ـ فإننا في هذه الحالة نعتبر كلمة سبعين باللغة الإنجليزية (Seventy) مرادفة لـ (Septante) و (Soixante Dix).

ولو نبقى في مجال الكلام الفرنسي الكيباكي فإننا نلاحظ وجود كلمات تختلف باختلاف المناطق وبحسب المقاطعات؛ إلا أنها تعبر عن شيء واحد أو حقيقة واحدة. مثلاً هناك مثال معروف وهو كلمة الغلاية أو المغلاة (Bouilloire) والتي تسمى Canard في مقاطعة (مونتريال) و (Bombe) في منطقة (كيباك) وثلاث مقاطعات أخرى.

في حالات أخرى الكلمات المترادفة التي يكون ترادفها جلياً لا بد أن تكون مميزة على مستوى سجل اللغة المستعمل، مثلاً في اللغة الفرنسية الشعبية في كيباك نجد بعض التعبيرات مثل: اشترى سرطاناً قديماً il s'est achete un vieux cancer، واشترى خنزيرة une Minoune هاتان الجملتان ترتبطان بالاستعمال المعروف بجملة: اشترى سيارة قديمة.

في هذه الحال، لا بد من ملاحظة أن التمييز بين سجلات اللغة أكثر صعوبة من إثبات الفرق الجغرافي بين مختلف اللهجات في أثناء المحادثة، بل من النادر أن يكون هناك تغيير في اللهجات، في حين أن التغيير في السجل مستساغ ومقبول.

وكمقياس للتمييز بين مصطلحين أو كلمتين تبدوان مترادفتين لجأ بعضهم إلى التمييز بين ما يسمى معنى إدراكياً، وبين ما يسمى معنى شعورياً.

في اللغة الإنجليزية مثلاً يستشهد بحالة الكلمتين Liberty و Freedom (الحرية) اللتين تكونان مترادفتين على المستوى الإدراكي وليس على المستوى الشعوري.

كما يمكننا أن نستشهد في اللغة الفرنسية بحالة قريبة وهي ديموقراطية (Démocratie) التي تحمل قيماً مختلفةً تُفهم بحسب استعمال هذا المصطلح من قِبل سكان بلدان النظام الرأسمالي، أو من قِبل سكان المعسكر الاشتراكي.

لكن التمييز بين المعنى الإدراكي (المعرفي) والمعنى (العاطفي) الشعوري) بعيد عن أن يكون مبنياً على تمييز جزئي.

والمصطلح عاطفي (شعوري) يبدو أنه مستعمل كنوع من المزيج متضمناً لعناصر متعلقة بالنمط أو السجل اللغوي أكثر من تعلقها بالحالة الاجتماعية الثقافية للتعبير.

في حالة المصطلحات العلمية والاصطلاحات الشعبية يمكننا أن نعثر على كلمات مترادفة ترادفاً كاملاً ـ على ما يبدو ـ على سبيل المثال كلوريد الصوديوم (NaCl) هو الرمز الكيميائي للملح. غير أن هناك مجموع الاصطلاحات المستعملة تعود إلى التمييز من خلال الاستعمال.

فمثلاً ونحن على طاولة الأكل لا نقول: ناولني كلوريد الصوديوم ولكن نقول: ناولني الملح. على عكس ما يمكن أن يحدث في المخبر.

إذن يمكننا القول هنا: إنه ليس هناك ترادف على الإطلاق.

خلاصة القول: أنه لو اعتمدنا ـ في قياسنا ـ لإثبات الترادف على طريق قابلية الكلمات المترادفة للتبادل فيما بينها في السياقات اللغوية كلها لأدركنا أن الترادف التام أو الكامل نادرٌ جداً.

ولو نضيف إلى هذا المقياس تجانس أو ارتباط اللهجات، وكذلك مراعاة الوضعية والظروف (فهي بقدر ما تكون طبيعية هي أيضاً اجتماعية ثقافية).

فلا شك أننا نلحظ أنه من الصعب العثور على كلمتين مترادفتين تماماً.

والترادف التام ليس مهماً في حد ذاته، فهو يتعلق بترف لغوي لا جدوى من معالجته لأنه يسير على عكس قوانين الاقتصاد اللغوي.

يمكننا أن نتصور الحالة التي يمكن أن يحدثها وجود كلمتين مترادفتين ترادفاً تاماً، وهذا يمكن أن ينطبق على كلمتي أريكة (Divan) وأريكة (Sofa) في استعمالهما الحالي في كيباك. إن أحد الاستعمالين مهدد بالزوال.

2 ـ التضمن (الاشتمال):

يرى جون لاينز (John Lyons) أن إحدى العلاقات الأساسية للمعنى في بنية المفردات هي ليبونيمي (L'hyponymie)[1] وهذا المصطلح وجد قياساً على مصطلحي الترادف والتضاد. وهو يعني

(1) وتعني علاقة التضمن المطبقة على مدلول الوحدات المعجمية، وهي متعلقة بمنطق التصنيف Hyponymie: انضواء تسمية تحتية. وانظر: د. بسام بركة ـ معجم اللسانيات، ص 102، و Jean Dubois - Dictionnaire de Linguistique P. 247.

التضمن أو الاشتمال، فمثلاً معنى أرجواني متضمن في اللون الأحمر.

كما هو الحال في معنى «خزامي» فهو متضمن أو تشمله كلمة زهور.

إن مصطلح (ليبونيمي) إذن يتعلق بعلاقة تضمن معنى جزئي محدد ضمن معنى عام.

وعندما تكون هناك مجموعة وحدات يشملها معنى عام واحد فإنه يمكننا القول بأن هذه الوحدات (كوهيبنونيم) (Cohyponymes)[1].

وذلك كما في الألوان: أرجواني قرمزي لون الزنجر... إلى آخره. هذه الألوان هي مشترك اللون الأحمر، والزنبق، والبنفسج، والورد... إلى آخره. هي مشترك الزهور.

أما فيما يخص اللون الأحمر والزهور فإن كل واحد منهما يعد معنى شاملاً (Superordonnes)[2] وذلك بالنسبة لما يشمله أو يتضمنه كل واحد منهما.

الذي يجب التحقق منه مع مفهوم (ليبونيمي) هو أن دوره في اللغات الطبيعة أضعف مما هو عليه في علم قوانين التصنيف العلمية، كما هو الحال في علم النبات أو علم الحيوان.

في الكلام الدارج هناك عدة خانات فارغة (فاضية) على سبيل المثال لا يوجد في اللغة الفرنسية معنى شامل يضم كل الكلمات التي تعني الأداة (الآلة) التي نستعملها في الصعود كـ (كرسي) وسلم (Echelle)... إلى آخره.

---

(1) Cohyponyme: اسم مشمول، مشترك. انظر: Jean Dubois - Dictionnaire de Linguistique, P. 247.

(2) Superordonnes: معنى شامل، كلمة شاملة.

على حسب ما يرى (لاينز) (Lyons): إن داخل التنظيم التدريجي التسلسلي لمفردات اللغة ـ بفضل علاقة (ليبونيمي) ـ تكون البنية الثقافية هي العنصر المهم الذي تدخل اللغة بوساطته مجال النقاش، كالإنشاءات والعادات ومعرفة العالم تتنوع بكثرة من ثقافة إلى ثقافة أخرى والتصنيف أيضاً يختلف في تنوعه من لغة إلى لغة أخرى.

3 ـ علاقات أخرى للمعنى:

في الأخير نشير إلى أن (لاينز) (Lyons) طور بعض النماذج للعلاقات الدلالية الأساسية التي يتعذر علينا ذكرها بالتفصيل في هذا المجال.

من بين هذه العلاقات علاقة التضاد، فلو أن فستاناً لونه أحمر فإنه بالضرورة ليس أخضرَ.

وأشار إلى ثلاثة أنواع من التضاد:

- التضاد التام أو الحاد مثل: أعزب ومتزوج، وذكر وأنثى.
- التضاد المتدرج مثل: كبير وصغير.
- التضاد المتبادل مثل: اشترى وباع.

جـ ـ التحليل المؤلفاتي[1]:

التحليل المؤلفاتي يعتمد ـ في موضوعه ـ على دراسة البنية الداخلية لمدلول الكلمات خارج السياق؛ يعني دراسة عناصر أو

---

(1) Analyse Componentielle وقد سمي التحليل الدلالي، وسمي التحليل المؤلفاتي والتحليل المفهومي.

مكونات الدلالة لوحدة لسانية، ويتعلق بمعرفة الكيفية التي يتم بها ربط الكلمات فيما بينها ابتداءً من تكوينها الداخلي.

كما يمكن أن نشير إلى التحليل السيميائي بما أنه موضوع البحوث من هذا الطراز.

إن أغلب هذه التحليلات مستلهمة من علم الأصوات الكلامي إذ أنه يتعلق بتطبيق طريقة الإبدال على الدلالة والتي تبرز الفونيمات[1] أو الوحدات الصغرى للتعبير.

مثلاً: (P) تتميز عن (B) في مقطع مثل: Po - Bo كما أن (B) مؤلف من ميزات متلائمة صوتياً مثل الصوت الشفوي، والصوت الرنان، والملفوظ (الشفهي).

ومثل هذا ينطبق على مورفيم[2] أو مونيم[3] معزول مثل كلمة فرس فهي مؤلفة من تلاؤم دلالي وثيق الصلة بالموضوع مثل: حصان + أنثى.

1 ــ المرجع:

من المحاولات التي تُعد نموذجاً للتحليل التوزيعي هي ـ بلا منازع ـ تلك التي تركز على تحديد الخطوط الدلالية الوثيقة الصلة بالموضوع، أو سمات الوحدة اللسانية مع إبراز الصفات المشتركة للموضوعات المسماة باسم واحد، وذلك من خلال الملاحظة المباشرة في حالة الأشياء الفيزيائية المحسوسة، مثلاً الخطوط الخمسة الوثيقة

---

(1) Phonème : وحدة صوتية صغرى.

(2) Morpheme : وحدة بنيوية صغرى.

(3) Moneme : وحدة لغوية صغرى.

الصلة دلالياً بالوحدة (كرسي) تكون كالتالي:

- له مسند.
- على أرجل.
- لشخص واحد.
- للجلوس.
- بمواد تركيب صلبة.

كل الأشياء المسماة كرسياً تحوي هذه المواصفات.

ولتوضيح هذه الطريقة نأخذ على سبيل المثال (Bernard Pottier 1963)؛ فلقد اختار الوحدات الخمسة الآتية المخصصة لطراز الكراسي في اللغة الفرنسية:

- مقعد لا ظهر له ولا ذراعين Tabouret
- كرسي بذراعين Fauteuil
- كرسي Chaise
- أريكة Canape
- وسادة صغيرة يتكأ عليها Pouf

المقصود هو إنشاء لائحة تعريفية لهذه الأشياء لإعطاء تعريف شكلي (فيزيائي)، انطلاقاً من الإجابات المحصل عليها بمساعدة الاستفسار المناسب فإننا بعد ذلك نحتفظ بالإجابة الإيجابية وهذه الصفات المحتفظ بها تكون بمثابة الخطوط الملائمة للوحدة المدروسة.

مثلاً نجد صفات مختلفة لأشياء مسماة بـ (كرسي).

	كرسي 1	كرسي 2	كرسي 3	كرسي 4
q 1 = الجلد	+	+	−	+
q 2 = للجلوس	+	+	+	+
q 3 = من المخمل	+	−	+	+
q 4 = من الخشب	−	+	−	−
q 5 = من المعدن	+	−	+	+
....				
q n = ن				

(n) ترمز إلى آخر وحدة في اللائحة.

نأخذ الجدول ونكمله بالطريقة الآتية: نبرز المواصفات الملائمة لكلمة كرسي؛ يعني المواصفات (q) يمثل (n) مرة. (n) مشترك بين كل الكراسي.

في الجدول الآتي (M) تعني عدد الكراسي دون تقديم الصفة المطلوبة.

مثلاً: q 1 (N - M) تدل على العدد الإجمالي للكراسي.

مثلاً (10) ناقص عدد (M) للكراسي التي لا تمثل الصفة (q) مثلاً

(3) يعني (10 – 3) تكون 7 كراسي مصنوعة من الجلد (q):

	كرسي1	كرسي2	كرسي3			
q 1 = من الجلد	+	+	−	(−/+)	−	(N-M)q1
q 2 = للجلوس	+	+	+	+	+	Nq 2
q 3 = من المخمل	+	−	+	(−/×)	+	(N-M)q3
q 4 = من الخشب	−	+	−	(−/+)	−	(N-M)q4
q 5 = من المعدن	+	−	−	(−/+)	+	(N-M)q5
q 6 = له مسند	+	+	+	(+)	+	N q 6
q 7 = له أرجل	+	+	+	(+)	+	N q 7

كل الكراسي المذكورة تم سردها بطريقة متبعة بمساعدة الرمز (S) وتتبع التحليل يكشف لنا أن المواصفات الوثيقة الصلة بـ (كرسي) هي:

q 2 , q 6 , q 10 , q 13

q 2 = S 1 للجلوس

q 6 = S 2 له مسند

على أرجل	S 3	=	q 7
لشخص واحد	S 4	=	q 10
من مواد صلبة	S 5	=	q 13

والطريقة نفسها مطبقة على الوحدة (كرسي له ذراعان) (Fauteuil). هذه الوحدة تتعلق بإبراز الوحدات المعنوية عندما تطابق إحدى الوحدات السابقة، مثل وحدة: له مسند، فإن القيمة العددية بالاتفاق.

S 6 إذا تعلق بوحدة غير مستعملة من قبل مثل (له ذراعان) فإننا نعطيه قيمة جديدة سواء بالنسبة للحالة الحالية S 6 أو بالنسبة لكل مصطلح مدروس. في المجموع بالنسبة للكلمات الخمسة المتناولة نجد ستة خطوط متوافقة:

S 1 = للجلوس

S 2 = له مسند

S 3 = على أرجل

S 4 = لشخص واحد

S 5 = من مواد صلبة

S 6 = لـــه أذرع

ملاحظة: بالنسبة لـ (بوتيـيي) (Pottier) الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها لها أرجل لأنها توضع على الأرض.

بعد أن نقوم بدراسة التقاطع لهذه الخطوط كلها نحصل على الجدول الآتي:

	S 1	S 2	S 3	S 4	S 5	S 6	
كرسـي	+	+	+	+	+	−	S 1 =
كرسي بذراعين	+	+	+	+	+	+	S 2 =
مقعد لا ظهر له ولا ذراعين	+	−	+	+	+	−	S 3 =
أريكـة	+	+	+	−	+	+	S 4 =
وسادة صغيرة يُتكأ عليها	+	−	+	+	−	−	S 5 =

الرمز (S) في أعلى كل خانة أفقياً يدل على المادة الدلالية التي تدل على أن الوحدات (S) ليست إلا عناصر مثلما هو الحال في قولنا (كرسي) هذه المفردة لها جوهر تمثله العناصر أو الوحدات التالية:

S 1 = للجلوس

S 2 = له مسند

S 3 = له أرجل

S 4 = لشخص واحد

S 5 = من مواد صلبة

وتكون بطريقة أخرى:

S 1 (كرسي) = (S 5, S 4, S 3, S 2, S 1).

وبتعبير آخر، يمكن أن نقول: إن السمة (له أذرع) تسعى للتمييز بين الكرسي الذي له أذرع، والكرسي الذي ليس له أذرع. كما هو الحال في السمة (له مسند) تسمح بالتفريق بين الكرسي والمقعد الذي لا ظهر له ولا ذراعين. والسمة (لشخص واحد) تميز بين كرسي له ذراعان عن أريكة. وهكذا.....

2 ـ تعريفات:

هناك خطة أخرى يرتضيها جورج مونان (Georges Mounin) ترتكز على معرفة مدى قابلية تعريفات الوحدات المعجمية التي نجدها في المعاجم الشائعة الاستعمال وقدرتها على تزويدنا بمعلومات حول بنية مفردات اللغة.

وذلك كما في مجال المفردات الخاصة بالسكن إذ تعد تعريفات المصطلحات الخاصة بهذا المفهوم الموجود في المعاجم كمعجم (Le Petit Larousse) مجموعة من السمات الخاصة بالمدلول نجد كلمة مثل Paillote وهو كوخ من القش في البلاد الحارة. هذه الكلمة لها ثلاثة خطوط أو سمات وهي: - كوخ/ +/ مصنوع من التبن أو القش/ +/ في الأماكن الحارة.

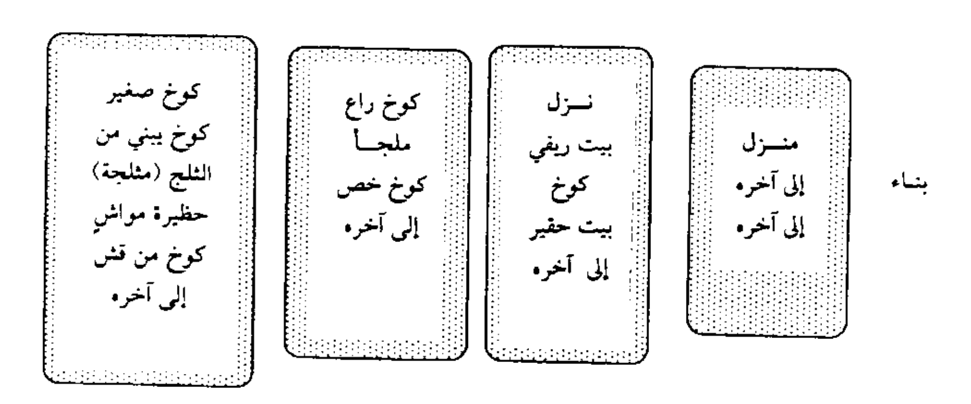
ولكلمة (كوخ) نجد: منزل/ +/ بناء غير متقن.

ولمنزل نجد: بناء/ +/ للسكن/ .

نتائج هذا التحليل يمكن أن تدرج ضمن البنية المفهومية (للتحليل المؤلفاتي):

الخطوط الوحدات	منزل	في الريف	أين نأكل ونشرب إلى آخره	في الظهيرة	إلى آخره	قليلة القيمة إلى آخره
نـــزل	+	+	+			
بيت ريفي	+	+		+		
كوخ ريفي	+	+		+	+	
متهدم						+
إلى آخره						

ككما يمكن لهذا التحليل أن يقدم ضمن صيغة التصنيف المتشجر أو البنية التدريجية على النحو الآتي:



غير أن هذه الطريقة في التحليل تطرح مشكلة اللجوء إلى المعاجم يعني؛ محدودية التحليل للتعريفات.

حيث إن هذه التعريفات لا تطابق محتواها المنطقي في كل الأحوال.

بالإضافة إلى ذلك يمكننا ملاحظة انتقال(ما) لأن تعريفات المعاجم يمكن أن تكون هي نفسها مبنية على نوع من التحليل المؤلفاتي الضمني.

3 ـ الاشتقــاق:

لتحديد سمات الوحدات اللسانية الوثيقة الصلة دلالياً أجريت عدة تجارب وتعد محاولة بيار غيرو (Pierre Guiraud)[1] 1967 م من بين المحاولات الأكثر أصالة والمبتكرة حتى هذا التاريخ. إذ يركز في مسعاه هذا على اكتشاف البنية الدلالية للكلمات انطلاقاً من المسلمات التي تزود اللغة نفسها لمعرفة الاشتقاق، وليس من الإجراءات المرجعية أو المنطقية. المحاولة نفسها ترتكز على فرضية أن اللغة إنتاج بشري وتاريخي ولا بد من البحث عن منطق لساني بحت مختلف عن منطق المناطقة.

يعني لغات شكلية). وعليه تكون دلالة الكلمة على علاقة مع مادة اشتقاقها.

لو أخذنا على سبيل المثال مفهوم كلمة (خديعة) وأردنا عرض ما يتعلق بالبنية الاشتقاقية للكلمة فإننا نستعين بالمعاجم المألوفة والخاصة بالاصطلاح اللغوي، والمعاجم القديمة والحديثة... إلى آخره.

(1) صاحب كتاب علم الدلالة La Sémantique.

ونبدأ كما فعل (غيرو) بجرد أو بوضع قائمة لكل الكلمات التي تدل على الخديعة. (خدع) و (مخادع) و (خديعة).

بعد ذلك قام بجرد كل كلمة على حدة ووضع قائمة لها إلى أن وصل عدد مشتقاتها زهاء (250) كلمة. فالمقصود إذن أو الهدف هو العثور على اشتقاق الكلمة.

وفي الأخير ننشىء النمط الخاص بكلمة (الخديعة) بناءً على القرابة الموجودة بين المواد الاشتقاقية لكل كلمة.

وهذا توضيح للنمط الذي سار عليه (غيرو) بعد أن درس مائتين وخمسين كلمة للغة الفرنسية، هذه الكلمات التي تدل على الخديعة واشتقاقها.

كلمة الخديعة مصممة كالآتي:

أ ــ قبض على متهم بأمر من السلطة:

1 ــ وقع في المكيدة (الخديعة).

2 ــ وضع في السجن خدع (غلب)...

3 ــ حيازة جنسية: قبّل - خدع...

ب ــ رياء (نفاق):

1 ــ حيلة (خدعة): موّه، خدعة...

2 ــ تنكر (تقنع): أخفى، زخرف له الأمر...

3 ــ مزيف: مخادع (منافق)، تظاهر بـ، خديعة...

جـ ــ هزم في إبداء الرأي:

1 ــ تسلية (لهو) وانحراف: أضل، تاه...

2 ــ إضلال الحكم: هدأ، بهر...

3 ــ مفاجأة: فاجأ، مخدوع، هزم (خذل). . .

د ــ مخالفة الوعد، والقانون والقاعدة.

هـ ــ سخرية، مزاح، تبجح. .

على حد تعبير (غيرو) إن القيمة الكبرى لهذه القوانين هي أن المفاهيم توضع بوضوح عن طريق هذا الصنف من التحليل وذلك بإنشاء مفاهيم أو تصورات مكونة ـ في العادة ـ من السمات العادية للمعنى والتي تستخدم التدبيرات المختلفة لتشكيل الوحدات اللسانية الجديدة التي تعبر عن المظاهر المختلفة لمفهوم الكلمة وذلك مثل كلمة (الخديعة).

غير أن إقرار المؤلف نفسه يفرض بعض الملاحظات:

ــ المائتان والخمسون كلمة المدروسة ـ بالنسبة للاشتقاق ـ لا تنتمي إلى وضع لغة متجانسة تزامنياً، هذا من جهة.

ــ ومن جهة أخرى، أنه حتى لو كانت المقابلة بين الكلمات قد أجريت انطلاقاً من التجانس الاشتقاقي فإنه يبقى ـ إلى يومنا هذا ـ عدد كبير من الكلمات التي لا نلحظ الرابط بينها. نذكر على سبيل المثال كلمة (Grève) (Plage) وهي ضفة أو شاطىء و (Grève) وهو التوقف عن العمل.

نلحظ أن العلاقة بينهما اعتباطية تماماً. إذن فالأمر يتعلق مرة أخرى بمجال متميز.

ــ بالإضافة إلى هذه الملاحظات لماذا اهتم (غيرو) بدراسة أخرى لكي يبين الإمكانات الكبيرة لتجرد وتعميم طريقته معتمداً هذه المرة قوانين عكسية.

فبدلاً من أن ينطلق من مفهوم كـ (الخديعة) ويبين النسق السيميائي للكلمة جرب مفهوم «الصدمة» مصنفاً كل الكلمات التي ترتبط اشتقاقياً أولها نفس الأصل الاشتقاقي ضمن صنف اشتقاقي واحد دون أن يهتم بمعانيها الفعلية.

واكتفى بالإشارة إلى أن هذا الصنف من التحليل الذي لا نركز عليه إلا أننا لا بد أن نبين خاصيته اللسانية البحتة (بترتيب تعاقبي) وهذا لا يخلو من طرح مشاكل جديدة كما أعترف بذلك (غيرو) نفسه.

إلى هنا نكون قد تفحصنا ثلاث طرق مختلفة للتحليل المؤلفاتي:

ـ تقنية تحليل المراجع[1] بوتيبي (Pottier).

ـ دراسة تعريفات المعاجم (مونان) (Mounin).

ـ اللجوء إلى الاشتقاق (غيرو) (Guiraud).

إلا أن هذا الكشف يبقى بعيداً عن أن يكون كشفاً تاماً شاملاً.

في الواقع هناك عدد غير قليل من القوانين التي يصعب علينا عرضها هنا لطولها. يمكننا أن نجرب على سبيل المثال إبراز تنظيم المدلولات اعتماداً على بنيتها الداخلية اعتباراً من التقنية المتصلة بالتحليل المرجعي وتغيير تعريفات المعاجم؛ أي التعريفات المدرجة في المعجم، أو يمكننا أن نقوم بتحريات حتى يتسنى لنا تحديد الاستعمال اللساني للمصطلحات الخاصة بمجال معين؛ وذلك مثل مجال وسائل النقل، والأثاث، والكراسي، والمطبخ... إلى آخره.

من الممكن الاستعانة بالتحليل الكمي أو الإحصائي، وتصور

---

(1) المراجع Les Réferents: وهي الأشياء المحال إليها. سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول.

العلاقات المتبادلة بين عدد الدلالات المختلفة للكلمة، وعدد الوحدات[1] الصغرى للكلمة نفسها، أو عدد الوحدات الصغرى غير المذكورة إلى آخره.

في هذه الحالات كلها نلاحظ أن الأمر يتعلق بالفرضيات المستوحاة من التحليل المؤلفاتي. والذي نستطيع تأكيده هو أنه بقدر ما يوجد من مؤلفين في هذا المجال، بقدر ما يوجد من تقنيات لتحديد سمات معنى الكلمة.

لا شك في أن النماذج من التحليل متعلقة بسمات دلالية هامة وثيقة الصلة بالموضوع إلا أن هذه القوانين ليست إلا عبارة عن وضع مخططات من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ أن الأمثلة المطبقة دائماً منتقاة ضمن مفردات مجالات معينة معجمياً وذلك مثل: مفردات القرابة، وعالم الحيوان، والرتب العسكرية... وغيرها؛ يعني في المجالات التي تكون اللغة فيها عبارة عن محاكاة لبنية منطقية أو علمية مقررة سلفاً.

إذن الاعتراض الذي يمكن أن نوجهه إلى هذه الطريقة هو أن التحليل للكلمات بالاعتماد على القرابة أو الصلة الدلالية يفضي إلى وحدات متعلقة بالحد الأدنى معبر عنها بالمورفيمات[2] دوال النسب مثلاً صور أو أشكال المحتوى أو سمات المعنى (للمونيم)[3] (Jument) فرس أنثى الخيل هي: (فرس) و (أنثى) هذه المونيمات نفسها يمكن أن تحلل بدورها إلى صور أو أشكال المحتوى إلى آخره.

---

(1) Sème أصغر وحدة معنوية.

(2) Les Morphemes دوال النسب.

(3) Phonologie دراسة الصوت (الحرف) داخل التركيب.

بالنسبة لعلم الأصوات[2] التشكيلي السمات المتصلة بالعائلة[1] الصوتية (b) (ب) هي: (صوت ملفوظ) وصوت (رنان) و (صوت شفوي) مع أن هذه السمات ليست فونيمات.

وللإجابة عن هذه المعارضة لاحظ بعضهم أن أشكال أو صور المحتوى في مثل هذا المضمار تعود إلى ما أطلق عليه المناطقة (ما وراء[2] اللغة) أو نوع من اللغة المثالية التي نتكلم بها عن اللغة اليومية (يعني اللغة هي الموضوع) مع أن ما وراء اللغة ليس لها وجود فعلي والمصطلحات الخاصة بـ(ما وراء اللغة) تشكل جزءاً مكملاً للغة المستعملة.

بالإضافة إلى هذه الاعتراضات يبرز مشكل حقيقي في هذا الصنف من التحليل هو الآتي:

ـ كيف يمكننا أن نحدد بطريقة موضوعية سمات المعنى؟ يشترط في طريقة التحليل ـ لكي تكون صحيحة علمياً ـ قبل كل شيء لا بد أن تكون موضوعية بعيدة عن الذاتية.

وإلى غاية الآن لا توجد أية تقنية تستطيع أن تطمح إلى الموضوعية الحقيقة؛ لذلك يعد من السابق لأوانه تسمية هذا الصنف من التحليل بالتحليل العلمي (أو تأهيله للعلمية)، إذ ليست هناك إلا محاولات للبحث قد تتفوق محاولة على محاولة أخرى؛ إلا أنه ليست هناك طريقة بحث استطاعت أن تكون الطريقة المثلى إلى الوقت الراهن.

---

(1) Phonème: أي يكون الحرف واحداً ونطقه مختلفاً مثل حرف الـ(ب) في (بالله أستعين) وفي (أبرم اتفاقاً).

(2) Métalanguage.

4 ـ التحليل المؤلفاتي والحقول الدلالية:

تقنيات التحليل المؤلفاتي ـ التي تعد مشكلة حتى الآن ـ تطرح هذه الميزة أو التفرد في البحث عن تنظيم الوحدات المعجمية داخل الحقل الدلالي المعلوم. بهذا المعنى التحليل عن طريق سمات المعنى عند مؤلفيها ـ أي طريقة التحليل المؤلفاتي ـ تفترض قبول فرضية الحقول الدلالية وذلك مثل النظر إلى حقل الكراسي، وحقل السكن، وحقل الخديعة... إلى آخره.

الذي يميز هذه الدراسات للأعمال المنصبة بوجه خاص على الحقول الدلالية هو أن طرق التحليل المؤلفاتي تبحث عن بناء المعجم بواسطة العناصر المكونة للكلمة، في حين أن بقية طرق التحليل مستوحاة في الأساس من تصنيف (تريـيـي) (Trier) إذ تسعى إلى تجميع الوحدات المعجمية دون تفكيكها.

ومع ذلك هناك غايات تُعَيّن في بعض الأحيان بالتحليل المؤلفاتي.

التحليل المؤلفاتي عند الأنثروبولوجيين الأمريكيين ـ على وجه الخصوص ـ غير مستعمل بتقنية أو وصف لبنية المدلولات اللغوية؛ ولكنه مستعمل كوسيلة لنقل الثقافات (الهندية الأمريكية).

في هذا المنظور قوانين التحليل المؤلفاتي تهدف إلى الحصول على معلومات ذات طبيعة ثقافية اجتماعية (مثل التصورات القابلة لإدراك وفهم الروابط وعلاقات القرابة في حضارة معينة). وذلك بطابع لساني بحت.

5 ـ تصـورات المعنـى:

عند أغلب أنصار القواعد التوليدية التحويلية التحليل المؤلفاتي

معد لغايات أولية، مثل: الانشغال الأكبر هو الطريقة التي تكون فيها معاني الكلمات منظمة لإنشاء العبارات والتحليل المؤلفاتي يستعمل ـ على وجه الخصوص ـ كتقنية لتغيير أو تبديل بنية مداخل المعاجم؛ لأن معاني الكلمات للجملة مستمدة من هذا المعجم المغير.

ذلك هو نموذج التحليل المؤلفاتي المستخدم من قِبل (كاتس) (Katz) و فودور) (Fodor) في الواقع النظرية الدلالية بالنسبة لهما هي التفسير للبنية النحوية باستعمال المعجم، وعدد من القواعد كما سنرى فيما بعد.

في إطار هذا التصور للدلالة، التعريفات الحالية للمعاجم تبدو غير وافية بالغرض، حيث لا تحوي كل المعلومات التي نحتاج إليها.

نأخذ على سبيل المثال كلمة (بط) (Canard) من معجم تقليدي نجد أنها تدل على اسم عام يحوي عدة دلالات:

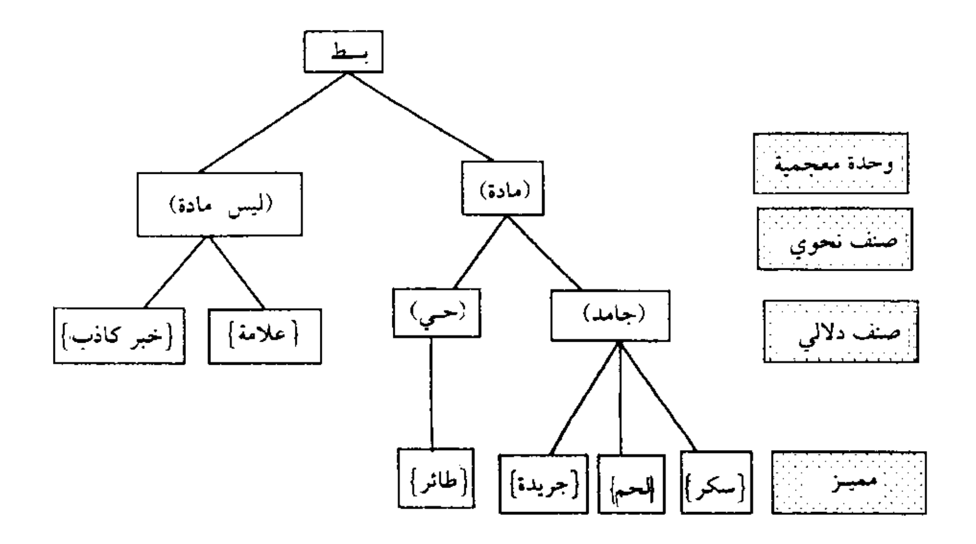
ـ طائر كفي القدم (Qiseau Palmipède).
ـ لحم الطائر نفسه.
ـ خبر كاذب.
ـ علامة مزيفة وصاخبة.
ـ قطعة سكر (في القهوة).

(كاتس) (Katz) و (فودور) (Fodor) يقترحان صيغة مختلفة لتقديم موضوعات المعجم هذه الصيغة مبنية على تحليل كل وحدة معجمية تتعلق بالقيام بالتحليل المؤلفاتي.

والعرض المعتمد يمكنه أن يكون المسوغ لمعرفة العلاقات بين المعاني للكلمة نفسها، والعلاقات بين مختلف الكلمات، بالإضافة إلى

إمكانية معرفة عدد المعاني الغامضة عند اللزوم.

فكلمة (بط) (Canard) يمكنها أن تبدو في عنوان على الشكل الآتي:

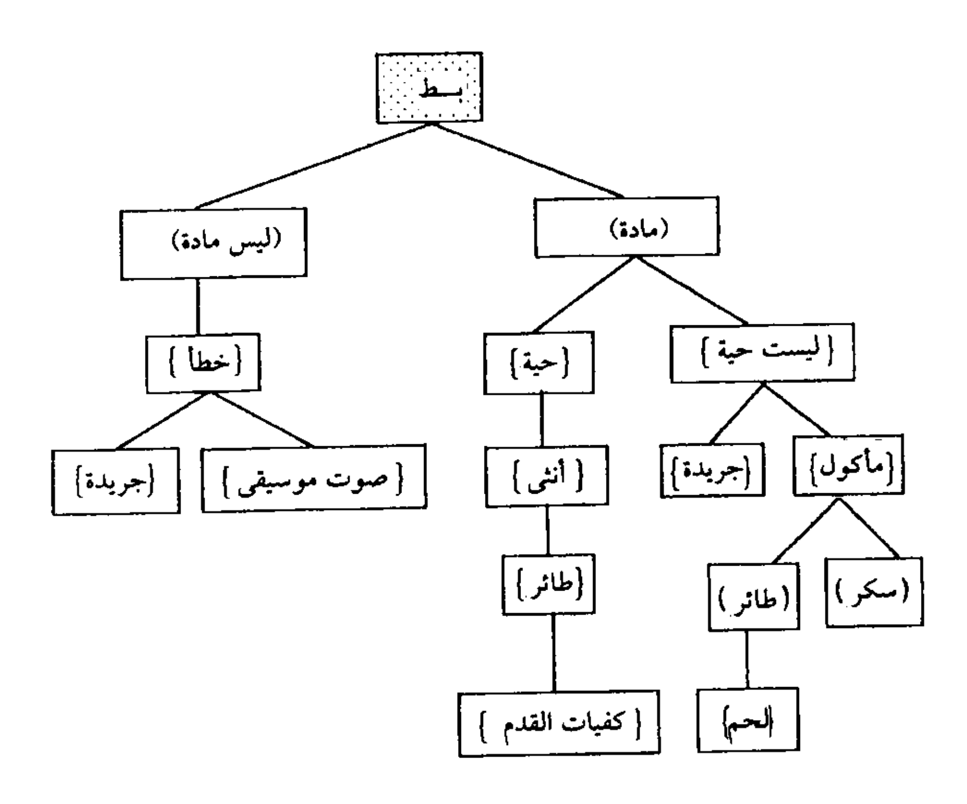


على رأي (كاتس) و (فودور) الأصناف الدلالية ـ كالمواد الحية مثلاً ـ هي مفاهيم وتصوراتها عامة.

يعني أنها موجودة في اللغات كلها.

أما المميزات الدلالية فهي تعكس كل ما تحويه المعنى من تميز وتفرد.

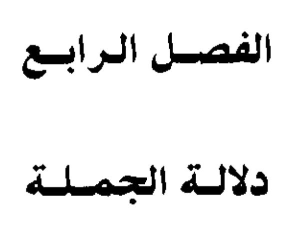
إلا أن هذا العرض لهذا النموذج ليس كاملاً تماماً. ولكي نجيب على ما يوافق المتطلبات المعينة لنظرية دلالية يمكننا أن نعيد كتابة الوحدة المعجمية (بط) (Canard) مستخرجة من الترجمة الفرنسية من موضوع (كاتس) و (فودور).



في هذا النموذج من العرض تبدو الأصناف الدلالية بين قوسين، هذه الأصناف هي تصورات لمعاني الوحدة المعجمية (بـط).

المعجم إذن يظهر كنظام للتصورات التـي تضيف منتجات تؤدي إلى التعيين كما نرى التنافر بين مختلف المعاني، في ظل هذا المنظور. كأن سمات المعنى لا تمثل قسماً من أقسام اللغة نفسها وإنما تتعلق بالعناصر النظرية المطروحة بقصد وصف علاقات المعنى بين العناصر المعجمية للغة معلومة.

* * *



الفصل الرابع

دلالة الجملة

كما لاحظنا في الفصل السابق، فإنَّ بعض اللسانيين يعتقدون أنه من الوهم الالتزام ببحوث على مستوى الوحدات المدروسة منعزلة لأن دلالة الكلمة تتغير بمقتضى وظيفة الجملة التي توجد فيها.

هذا يبين أن بعض الباحثين منكبون على دراسة مشكلة العلاقات بين مختلف المدلولات للوحدات المعجمية للجملة.

هؤلاء الباحثون لا يهتمون بالكلمات إلا من خلال اهتمامهم بالعناصر الكبرى لبناء الجملة.

أ ــ قواعــد الإسقــاط:

ثار كل من (كاتس) و(فودور) على المفهوم السلوكي لمعظم أسلافهم.

المفهوم الذي تناولاه لا يعدو أن يكون تقليداً أو محاكاة لجمل قد قيلت من قبل، إنهما يحاكيان الفكرة المركزية في نظريتهم (لقواعد الإسقاط)؛ يعني القواعد التي تسمح بإعطاء المجموعة المنتهية للجمل مقابلة مع المجموعة اللامتنهية من الجمل في لغة منطوقة.

والكلام بالنسبة لهما يعني القيام بتركيبات جديدة للعناصر التي تربطها علاقة ما، والطريقة التي تجعلنا نفهم الجمل الجديدة تحوي تركيبة تتكون من تحليل توافقي حيث لا تكون الفكرة إلا دلالة الجملة التي تملك حق التقدم على دلالة الكلمة.

إن تبدأ الدلالة حيث تنتهي القواعد (القواعد هنا مرادف للنحو) تمشياً مع الصيغة التي تقول: (وصف اللسانيات التزامنية ناقص القواعد يساوي الدلالة).

على مستوى الولوج إلى المعاجم لا بد أن ندرك ما تزودنا به المعاجم المألوفة غالباً وهو: العلاقة بين الوحدة المعجمية ومعناها. ولتكن الكلمة مثلاً: (شريف) (Honnête) التي تصور الآتي: (صالح) و (فاضل) و (مستقيم) و (نزيه) و (محترم) و (الناس الشرفاء) و (امرأة شريفة)، و (امرأة عفيفة). . . إلى آخره.

هذا يعني أن (شريف) يتعلق بشخص (ما) دون تحديد الجنس فهو يعني (فاضل) و (صالح) و (مستقيم) و (نزيه) و (محترم) لو تعلق الأمر بشخص (جنس أنثى) فإن شريف يصبح لها معنى (العفة).

من أجل هذه الإمكانية للتوافق الدلالي لجأ (كاتس) و (فودور) إلى رمز خاص وهو استعمال المعقوفتين [ ] وذلك للدلالة على الشرط الضروري والكافي لتركيب دلالي مقبول.

وهذا ما نسميه (بالانتقاد المحدود) وهو الأساس في تطبيق قواعد الإسقاط، وعليه تقدم كلمة (شريف) على النحو الآتي:

شريف
صفة
مقدرة
فاضل

(بريىء من كل العلاقات الجنسية غير الشرعية).

[(شخــص)، و (أنثــى)]

الكلمــات المحصورة بيـن المعكـوفتيـن تـدل علـى أن المعنـى الخاص لهذه الكلمات لا يمكن أن يطبق إلا في السياق اللساني لـ (شريف).

وواضح أيضاً أنه يتعلق بشخص من جنس (أنثى).

إلا أن أهمية مثل هذا التحديد في الانتقاء لا تبدو ذات أهمية إلا بعد أن تدخل قواعد الإسقاط هذا الميدان.

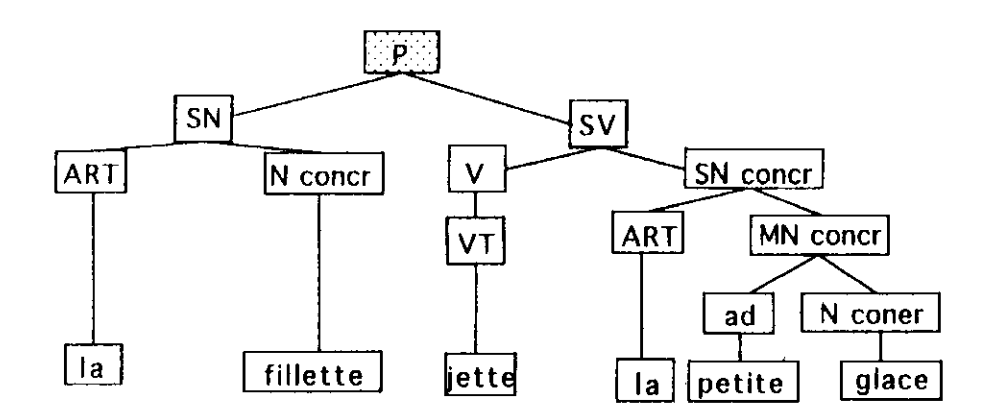
تسعى قواعد الإسقاط إلى دمج العناصر الدلالية المنحدرة من فروع مختلفة ولكنها تندرج تحت صنف قاعدي واحد؛ أي تحت نفس العلاقة السائدة.

ونذكر هنا بأن الموضوع الخاضع لقواعد الإسقاط الدلالي هو (الجملة) مصحوبة بوصفها النحوي.

نبدأ بأسفل الشجرة النحوية على مستوى المفارقات متبعين فيما بعد مزيج المزيج.

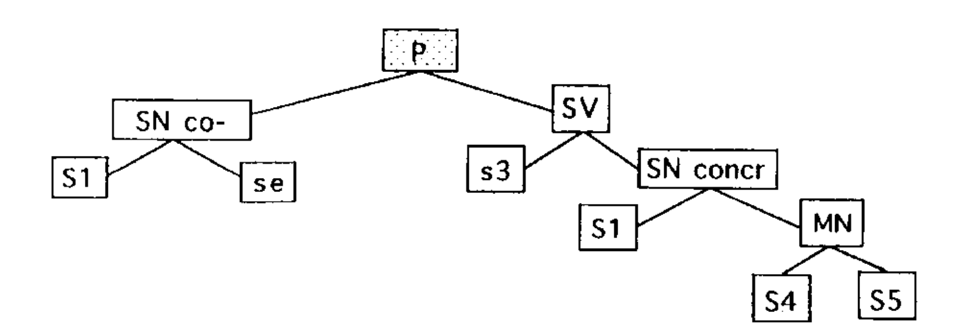
فعلى سبيل المثال جملة: البنت ترمي المرآة الصغيرة.

يكـون التحليل النحـوي مزوداً بالبنيـة التركيبيـة الاشتقاقية التالية:



لكي نحصل على مجموعة الفروع المناسبة نضع نفس الرمز (S) فوق نفس الأصناف القاعدية النهائية.

(مثلاً S 1 تكرر مع الصنفين).



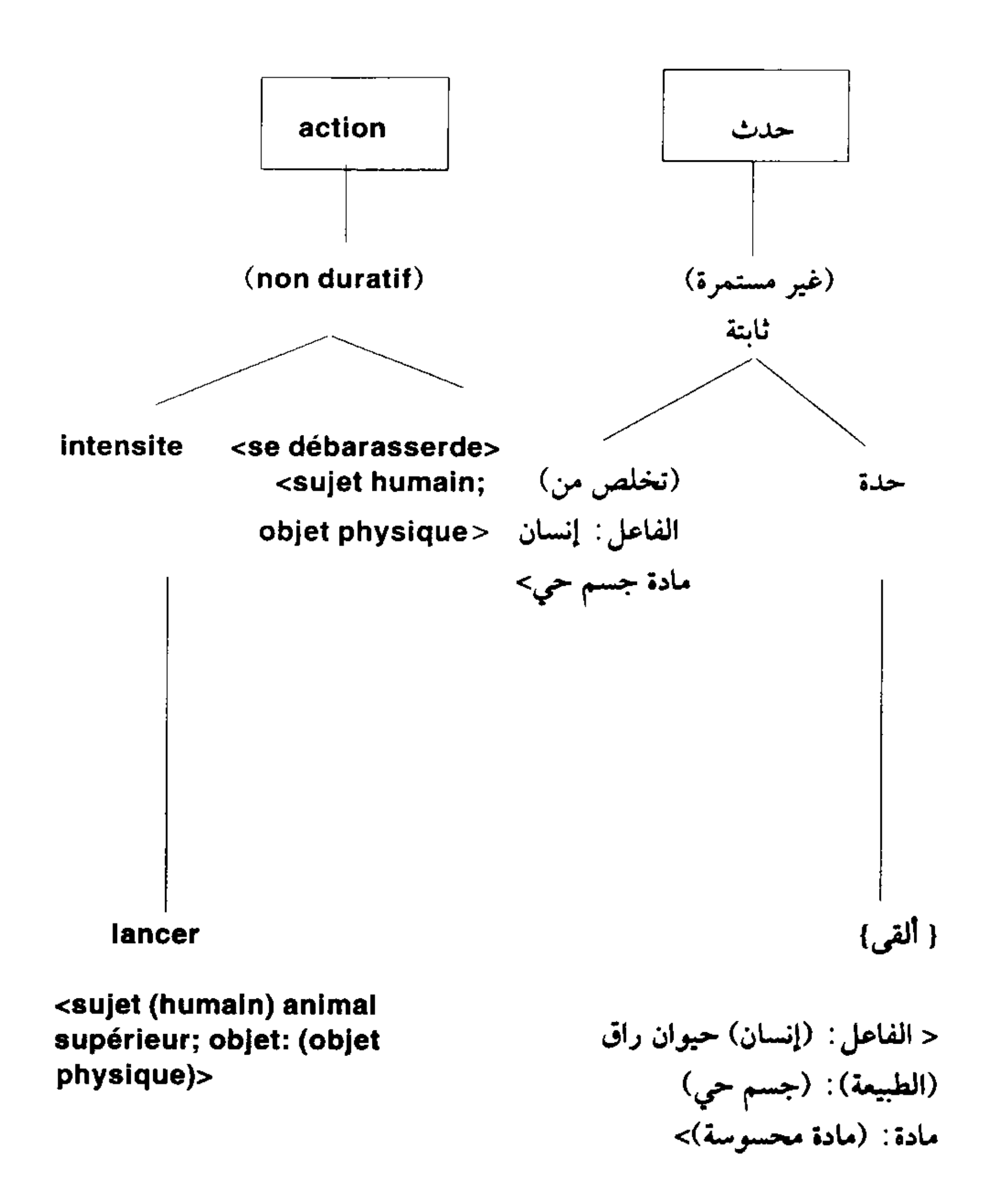
ذلك هو مشكل الولوج النحوي في الوقت الذي توظف فيه

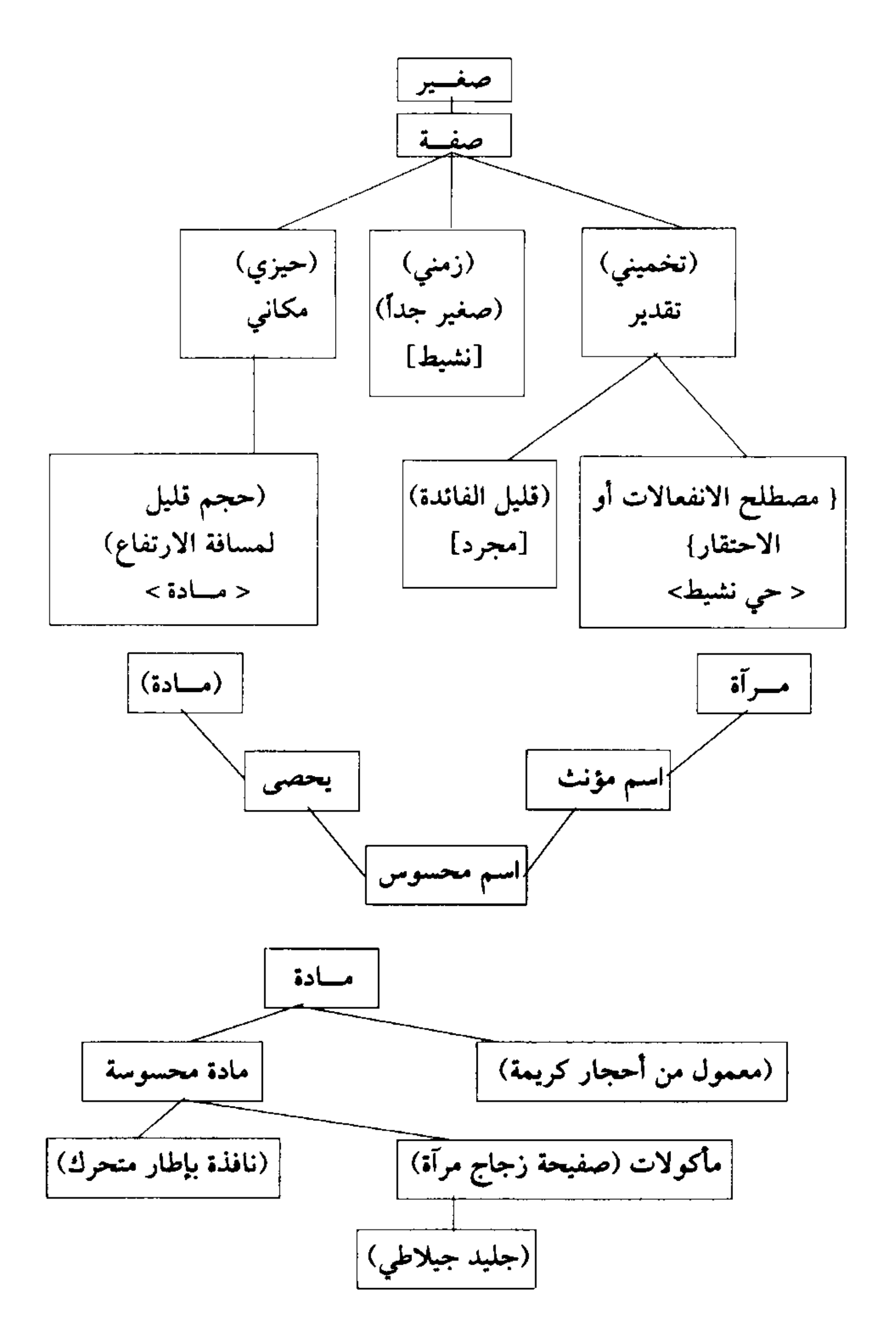
النظرية الدلالية لتوضيح ذلك على مثال:

البنت ترمي المرآة الصغيرة la fillette jette la petite glace

والآن نبين كيف يمكن أن تقدم كل وحدة معجمية من هذه الجملة قبل الشروع في قواعد الإسقاط.

ال	La
أداة التعريف	art. défini
(معرفة من خلال السياق)	défini dans le contexte
البنت	Fillette
اسم محسوس	N concr
يحصى	Dénombrable
مؤنث	N. fém
جسم محسوس	Objet Physique
بشري	Humain
صغير	Jeune
أنثى	Femelle
ترمي	Jette
فعل	Verbe
فعل متعدٍ	V. tr


action
حدث
(non duratif)
(غير مستمرة)
ثابتة
intensite
<se débarasserde>
<sujet humain;
objet physique>
(تخلص من)
الفاعل : إنسان
مادة جسم حي>
حدة
lancer
{ ألقى}
<sujet (humain) animal
supérieur; objet: (objet
physique)>
< الفاعل : (إنسان) حيوان راق
(الطبيعة) : (جسم حي)
مادة : (مادة محسوسة)>


صغير
صفة
(تخميني)
تقدير
(زمني)
(صغير جداً)
[نشيط]
(حيزي)
مكاني
{ مصطلح الانفعالات أو
الاحتقار}
< حي نشيط>
(قليل الفائدة)
[مجرد]
(حجم قليل
لمسافة الارتفاع)
< مـــادة >
مـــرآة
(مـــادة)
اسم مؤنث
يحصى
اسم محسوس
مـــادة
(معمول من أحجار كريمة)
مادة محسوسة
مأكولات (صفيحة زجاج مرآة)
(نافذة بإطار متحرك)
(جليد جيلاطي)

لا بد أنه من أجل متطلبات المثال تركت ـ جانباً ـ الدلالة الأكثر قرباً لكلمة (جليد) (Glace) (الماء المجمد).

وهذا يكون عندما تدل كلمة (Glace) على المادة، فهي ليست اسماً معدوداً. وللأسباب نفسها لا يصور بأي حال من الأحوال أي معنى من المعاني الافتراضية للفعل (رمى).

نرى الآن كيف تتحق عملية الإدماج للصفة (المحددة)، والاسم (المحدد).

تكون على التوالي S 4 (صغير) و S 5 (المرآة).

S 4

1 - petit	adj	(spatial)	(de peu de volume)	(Materiel)
صغير	صفة	حيز	ضئيل الحجم	مـــادة
2 - petit	adj	(temporel)	(tres jeune)	(anime)
صغير	صفة	(زمني) وقتي	صغير جداً	نشيط
3 - petit	adj	(appreciatif)	(de peu d'importance)	(abstrait)
صغير	صفة	تخميني (تقديري)	قليل الأهمية	مجرد
4 - petit	adj	(appreciatif)	(terme d'affection ou de mepris)	(anime)
صغير	صفة	تخميني	مصطلح الانفعالات أو الاحتقار	نشيط

S 5

1 - glace N feminin N. concret (denombrable materiel) (tache d'une pierre precieuse pieceuse)

2 - glace N. fem N. concret denombrable (materiel) objet physique (comestible) (Rafraichissement)

3 - glace N. fem N. concret denombrable (materiel) (objet physique) (lame de verre miroir)

4 - glace N. fem N. concret denombrable (materiel) (objet physique) (vitre a chassis mobile)

S 4

1 - petit	adj	(spatial)	(de peu de volume)	(materiel)
صغير	صفة	حيز	ضئيل الحجم	مـــادة
2 - petit	adj	(temporel)	(tres jeune)	(anime)
صغير	صفة	(زمني) وقتي	صغير جداً	نشيط
3 - petit	adj	(appreciatif)	(de peu d'importance)	(abstrait)
صغير	صفة	تخميني (تقديري)	قليل الأهمية	مجرد
4 - petit	adj	(appreciatif)	(terme d'affection ou de mepris)	(anime)
صغير	صفة	تخميني	مصطلح الانفعالات أو الاحتقار	نشيط

S 5

1 - glace	N. fem	N.Concret	(denombrable)	materiel	(tache d'une pierre precieuse)		
مرآة	اسم مؤنث	اسم محسوس	معـــدود	مـــادة	عمل أحجار كريمة		
2 - glace	N.fem	N. concret	denombrable	(materiel)	(objet physique)	(comestible)	(Rafraichissement)
مرآة	اسم مأنث	اسم محسوس	معـــدود	مـــادة	مادة محسوسة	يـؤكـل	مـرطبـات
3 - glace	N.fem	N. concret	denombrable	(materiel)	(objet physique)	(lame de verre, miroir)	
مرآة	اسم مؤنث	اسم محسوس	معـــدود	مـــادة	مادة محسوسة	صفيحة زجاج، مرآة	
4 - glace	N. fem	N. concret	denombrable	(materiel)	(objet physique)	(vitre à chassis mobile)	
مرآة	اسم مؤنث	اسم محسوس	معـــدود	مـــادة	مادة محسوسة	نافذة بإطار متحرك	

من الوجهة النظرية انطلاقاً من الترتيبات لـ S 4 و S 5، هناك ستة عشر مزجاً يكون ممكناً يفضل حصر الاختيارات لـ S 4.

الموظف من هذه الأرقام هو رقم (1)؛ لأنه يحوي حصر (مادة) السمة الوحيدة التي توجد في مكان (ما) في S 5 كسمة دلالية.

إن تحديد الاختيار إذن هو عمل هام وفي الوقت نفسه مسلم به، وهو العلامة الوحيدة التي تتيح دمج معنى أو معاني الكلمة مع معنى واحد أو عدة معاني لكلمة أخرى.

في المثال السالف الذكر لو أننا لا نستطيع أن نجمع بين المعنى (2) لـ S 4 (صغير في المعنى لـ (صغير جداً)) على المعنى (2) لـ S 5 (مرآة في المعنى لـ (ترطيب)) هذا يعني أن المعنى الثاني لـ (صغير) يتطلب أن يكون منضماً إلى وحدة تحوي السمة (نشيط)؛ حيث لا يمكننا القول عن (جليد مرطب) بأنه صغير.

ب ـ حساب نسبة المسانيد:

عند (كاتس) و (فودور) تكون الوحدات المعجمية المكونة للتعبير مركبة ـ كما رأينا ـ بمساعدة قوانين التحليل المسماة بـ (التحليل المؤلفاتي).

كما توجد طريقة مختلفة لعرض مسألة دلالة الجملة؛ هذه الطريقة تتعلق بتحليل أنواع العلاقات بين الوحدات، وهذا القانون مستعار من المنطق وبصفة خاصة من حساب نسبة المسانيد.

إن حساب نسبة المسانيد بالنسبة للمناطقة لا يهدف إلا إلى بيان أنواع العلاقات المنطقية. أما بالنسبة لما يهمنا هو الكيفية أو الطريقة التي تبنى عليها أو تتكون منها دلالة الجملة.

من أجل هذا نحاول أن نعرض الخطوط العريضة لتصور (بيارويش) (Bierwisch). هذا التصور الذي قدمه (بالمار) (.F.R Palmar) في كتابه المعنون بـ (علم الدلالة) في سنة 1976 م إلا أن (بالمار) قدم هذا التصور بطريقة مبسطة ومتغيرة نوعاً (ما).

يرى (بالمار) أن دلالة الجملة هي: افتراض وكل افتراض مكون من مصطلحات إما مسند أو دليل (برهان).

المسانيد مصطلحات تعبر عن العلاقات من حيث إنها ترتبط بصفة عامة بالأفعال. أما فيما يخص البراهين فإنها مصطلحات ترتبط غالباً بالأسماء[1].

ففي جملة مثل: أحمد يحب[1] فاطمة. في هذا الافتراض (يحب) هو المسند. وهو المعبر عن العلاقة بين الطرفين (أحمد وفاطمة).

بالعرف والاتفاق يمكن أن يقدم هذا النوع من العلاقة على النحو الآتي:

يحب أحمد فاطمة (aime) pierre, louisse

في مثل هذا النوع من الجمل يكون التركيب[2] ضرورياً، فلو غيرنا الجملة بحيث نقدم (فاطمة) على (أحمد) في الجملة؛ أي تصبح: تحب فاطمة أحمد، فإن المسند إليه قد تغير وبالتالي يتغير معه معنى الجملة.

لو نستبدل (أحمد) و (فاطمة) بـ (أ) و (ب) بالتبادل نحصل على

---

(1) استبدلت الأسماء الفرنسية بأسماء عربية.

(2) خاص باللغة الفرنسية، أما بالنسبة للغة العربية فيكون الإعراب هو الموضح والمفسر.

الصيغة التالية: (يحب) (أ) (ب) وهذه الصيغة مغايرة للصيغة (يحب) ب أ.

لا بد من ملاحظة أنه حتى ولو أن صيغة: أحمد يحب فاطمة تتضمن بالضرورة أن فاطمة تحب أحمد فإنه في بعض الأحيان تكون هناك علاقة تناظرية في مثل جملة: أحمد متزوج من فاطمة والتي تقتضي أن فاطمة متزوجة من أحمد.

إن ميزة هذه الطريقة في العرض هي أنها لا تبعد إمكانية دمج النتائج التي يزودنا بها التحليل المؤلفاتي (الدلالي)، بالإضافة إلى أننا نستطيع أن ندرك من خلالها تصورات أو مفاهيم المعنى.

جـ ـ الافتـراض:

بالإضافة إلى حساب نسبة المسانيد هناك طرق مستوحاة من المنطق تهتم بنظام معنى الجملة. من بين هذه الطرق، طريقة لفتت انتباه عدد كبير من علماء الدلالة في العصر الحديث هذه الطريقة هي: دراسة افتراضات الخطاب، أو التعبير الافتراضي.

ترى ما هو الافتراض؟

لو قلت على سبيل المثال: أحمد ما زال يدخن. فإنني أفترض أن أحمد كان يدخن من قبل. والشيء نفسه ينطبق على جملة: أحمد أعطى قليلاً من العصير[1] إلى خالد. فإنني أفترض أن أحمد أعطى عصيراً إلى خالد. لكننا نتساءل كيف يمكننا تعيين افتراض لتعبير معين؟ الإجابة تكمن في أنه يكفي أن نطبق صيغ النفي على التعبير، لو بقي على ما هو عليه حتى ولو كانت الصيغة بالنفي فإننا نقول: إن الأمر يتعلق فعلاً

---

(1) في النص الفرنسي (النبيذ).

بافتراض كما هو الحال في جملة (أحمد لم يعد يدخن) أو (من الخطأ أن يستمر أحمد في التدخين).

صيغة عدم النفي في (أحمد كان يدخن آنفاً) تبقى سليمة إذن هي متعلقة بافتراض.

الظاهرة نفسها في تعبير مثل: أحمد لم يعط قليلاً من العصير إلى خالد، أو من الخطأ أن أحمد أعطى خالداً قليلاً من العصير. إذ يبقى من السليم التأكيد على أن أحمد أعطى العصير إلى خالد.

هذه الصيغة إذن هي إحدى الفرضيات للتعبير: أعطى أحمد قليلاً من العصير إلى خالد.

يمكننا أن نقول بصفة عامة: إن فرضيات التعبير تتكون من مجموعة الجمل التي تبقى صيغة الإثبات فيها صحيحة على الرغم من النفي الذي يتضمنه التعبير.

في حين أن بعض الأنواع من التغييرات النحوية لم تستعمل إلا للكشف عن فرضيات التعبير، وذلك مثل الاستفهام، والتبعية، والأمر...

نحاول أن نأخذ الآن حالة التعبير في صيغة النفي مثل: خالد لا يكره الخمر. المتلقي أو الإنسان الذي يصغي إلى هذا التعبير يمكنه أن يفهم منه أن خالداً يحب الخمر كثيراً. هل هذه الجملة تتعلق بفرضية؟.

نطبق مثلاً أسلوب التبعية فنحصل على الصيغة الآتية: خالد لا يكره الخمر إلا أنه ليس مولعاً بها.

في هذه الحالة صيغة الإثبات (خالد يحب الخمر كثيراً) ليست واقعاً فعلياً.

إذن لا يتعلق الأمر بفرضية التعبير (خالد لا يكره الخمر).

إلا أن الحقيقة ليست دائماً بسيطة، فلنأخذ على سبيل المثال تعبيراً معروفاً عند الفلاسفة وهو جملة: ملك فرنسا أصلع. نأخذ هذه الجملة كواقعة أو كافتراض أنه ليس هناك ملك في فرنسا.

يصبح التعبير (ملك فرنسا أصلع) عبثاً ولهواً؛ لأن مثل هذا التعبير يخالف قاعدةً أساسيةً في المنطق يطلق عليها المناطقة اسم (فرضية الوجود)؛ يعني أن كل محمول (مسند) يقتضي دليلاً (برهاناً) فـ (أ) يفترض وجود (أ).

بالإضافة إلى ذلك ما يجعل التحليل معقداً هو أن الافتراض في بعض الأحيان يتعلق بنوع الفعل المستعمل.

مثلاً في تعبير كـ (أعلم أن خالداً حَضَرَ). في مثل هذه الحالة أنا أؤكد حضور خالد في صيغة النفي (لم أكن أعلم أن خالداً حضر) إلا أن حضور خالد يبقى قائماً أو فعلياً. إنه يتعلق إذن (بفرضية).

وعلى العكس من ذلك لو نحتفظ بالسياق اللساني نفسه ونكتفي بتغيير الفعل ماذا سيحدث؟ لو قلت: أتمنى أن يكون خالد قد حضر.

فأنا لست متأكداً من أن خالداً يكون قد جاء، إذن ليس هناك افتراض.

الفرضيات المطبقة على اللغات الإنسانية ليست بسيطة جداً، إلا أنها مع ذلك تقدم فائدة على مستوى التحليل الدلالي الذي يسمح ـ في إطار حدوده ـ من خلال زاوية مختلفة بفحص ودراسة ودلالة التعبير.

الفصل الخامس

خاتمة

العلاقة بين النحو والدلالة

ما زال بعض الباحثين ـ إلى الآن ـ مستمرين في سبر أغوار مجال دلالة الكلمة؛ إلا أن معظم اللسانيين المهتمين بمشكلة التنسيق الدلالي يقومون بدراسة دلالة الكلمة في إطار دلالة الجملة المتعارف عليه ـ حتى الآن ـ هو أن المشكلة المعقدة التي تحتل الصدارة في الدراسات اللسانية هي: مشكلة العلاقة بين النحو والدلالة؛ وعليه رأينا أن تكون خاتمة هذه الملزمة بمثابة لمحة مختصرة عن المراحل الكبرى لبعض الاتجاهات خاصة الأمريكية منها.

فالاتجاهات الأمريكية سجلت وما زالت تسجل بحوثاً لسانيةً في المجال المتعلق بالنحو والدلالة.

بعد فترة وجيزة من ظهور مقالة (كارتس) و (فودور) في سنة 1963 م والتغييرات التي أتبعت من قبل (كاتس) و (بوسطال) (Postal) عرفت اللسانيات التوليدية التحويلية تطوراً هاماً خاصة في السنة الموالية.

في سنة 1965 م أصدر تشومسكي (Chomsky) (Aspects of the Theory of Syntax) وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية في سنة 1971 م بعنوان: (Aspects de la Theorie Syntaxique) جوانب من النظرية النحوية. وقد أوحى (تشومسكي) من خلال كتابه هذا إلى إعادة النظر في عدد من النظريات خاصة ما يتعلق بالمزاج (الإدماج) في قواعد

مستوى التأويل الدلالي. وقد اقترح (تشومسكي) ـ في هذه الفترة ـ عزل المستوى النحوي عن المستوى الدلالي.

وبناءً على ذلك تقتضي القواعد ثلاثة مكوّنات هي:

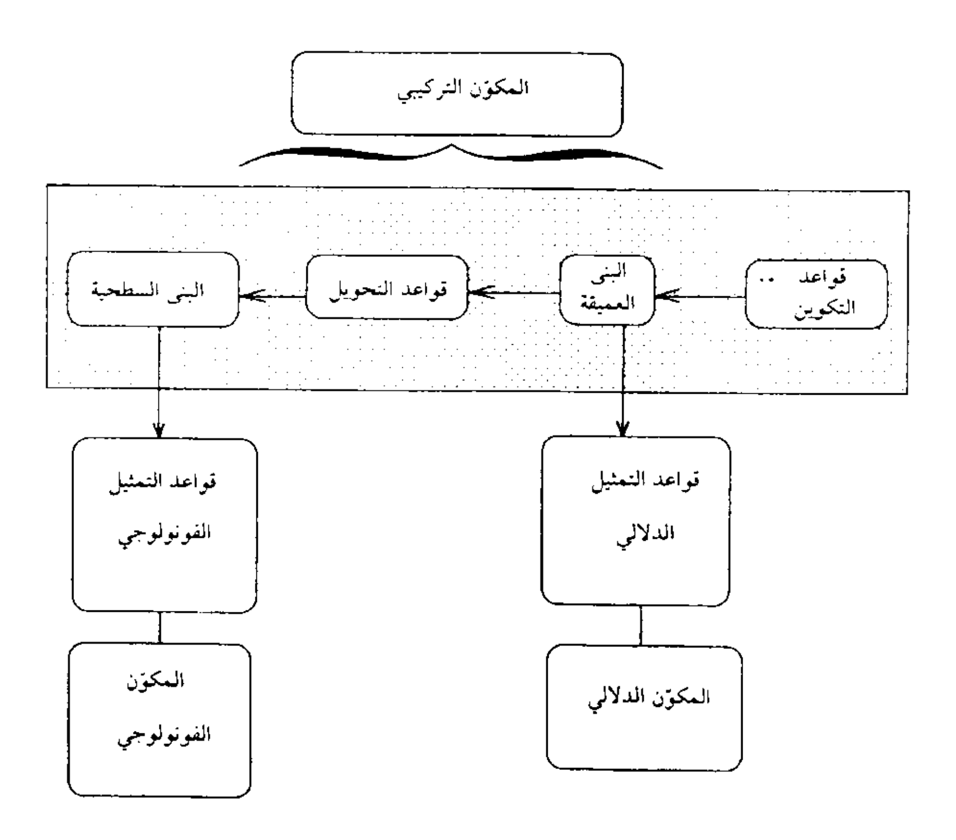
1 ـ **المكوّن التركيبي**: وهو يشمل المكوّن القاعدي (قواعد إعادة كتابة قواعد تحت التصنيفية والقواعد المعجمية) التي تستدعي البنية العميقة هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، المكوّن التحويلي هو الذي يحول البنى العميقة إلى بنى سطحية أو ظاهرية.

2 ـ **المكوّن الدلالي**: مؤلف من قواعد التمثيل الدلالي التي تطبق على البنى العميقة لتوضيح المعنى.

3 ـ **المكوّن الفونولوجي**: الذي تطبق فيه قواعد التمثيل الفونولوجية على البنى السطحية لإعطاء التأويل الفونولوجي.

على نحو مبسط هذا التصور يسمى بـ (النظرية النموذجية) ويمكن أن يقدم على النحو الآتي:



المكوّنات القاعدية في النظرية النموذجية لتشومسكي 1965 م.

تبعاً لهذا التخطيط تكون المكونات الفونولوجية والدلالية تفسيرية فحسب؛ يعني أنها تقتصر على وصف الأصوات أو المعاني دون إحداث الجمل؛ أي أنها تحدث ـ هي بنفسها ـ جملاً.

والمكوّن الدلالي المضاف يسعى في الواقع إلى إدراك بعض الظواهر التي ذكرت في الأشكال السالفة الذكر، وذلك لتوضيح الغموض الدلالي في مثل نموذج: (العلامة صحيحة (قد تكون علامة موسيقية أو علامة المطعم)).

وذلك في الجمل الشاذة في مثل: فرشاة الأسنان ترمقني بنظرات ساخطة.

بالإضافة إلى الجمل الغامضة نحوياً مثل: أحمد يحب فاطمة أكثر من خالد. والجمل المفسرة بإعادة الصياغة مثل: أحمد يحب فاطمة، وفاطمة محبوبة من قبل أحمد.

المكوّن الدلالي يسعى إجمالاً إلى إعادة النموذج القادر على الربط حقيقة بين الصوت والمعنى.

أما من جهة التحويلات فإنها شكلية بحتة، إنها مرتبة ولا تستطيع تغيير معاني البنية العميقة. والذي يجب ملاحظته في هذا المجال من النظرية المسماة (بالنظرية النموذجية) هو البنى العميقة التي تحدد التمثيل الدلالي (البنى السطحية تحدد التمثيل الصوتي).

إن الفكرة التي تطبقها قواعد التمثيل الدلالي على مستوى البنية العميقة بدأت تتزعزع شيئاً فشيئاً وخاصةً بعد النقد الذي قدمه عدد كبير من اللسانيين.

في تعبير مثل: عدد كبير من الناس يقرأون قليلاً من الكتب؛ وقليل من الكتب قرئت من قبل عدد كبير من الناس.

ليست هناك وسيلة لمعرفة السبب في أن هذه التعبيرات لها معانٍ مختلفة وذلك بالاعتماد على البنية العميقة وحدها.

الصعوبات نفسها تظهر في مثل الجملة الآتية:

أحمد هو الذي تحبه فاطمة. والنبر يكون على كلمة (أحمد).

والجملة أحمد هو الذي تحبه فاطمة (من غير نبر) نلاحظ أن

الفرق في التأويل الدلالي للجملتين لا يظهر على مستوى البنية العميقة؛ لأن الجملتين لهما نفس البنية العميقة وهي: فاطمة تحب أحمد.

ظهر ـ في مقابل هذه الصعوبات التي ظهرت بسبب الاختيار التكاملي للنظرية النموذجية؛ التي تبنى التأويلات الدلالية كلها على قاعدة البنية العميقة للجمل ـ اتجاهان كبيران مهدا السبيل شيئاً فشيئاً إلى أن تولدت (الدلالة التوليدية) مع (لاكوف (Georges Lakoff).

يرى (لاكوف) ـ وبناءً على تحليل نماذج تشومسكي ـ أن الجملتين مثل: أحمد[1] يقطع السجق بسكين. وأحمد استخدم سكيناً لتقطيع السجق.

أن هاتين الجملتين بنيتيهما العميقة مختلفة بشكل ملموس.

فالجملتان لا يربطهما أي رابط مشترك (تستطيع أن تثبت ـ على رأي لاكوف ـ أن هاتين الجملتين غير متشابهتين على الإطلاق). وذلك بمساعدة سلسلة من البراهين والاختبارات التجريبية التي يصعب تحديدها في هذه العجالة.

لقد سعى (لاكوف) إلى بيان أن الجملتين المختلفتين من حيث البنية السطحية والمشتركتين في المعنى يمكنهما اقتسام عدد كبير من الخصائص النحوية على المستوى العميق للجملة. بعبارة أخرى نقول: لكي نحصل على الصلة المحتملة (الممكنة) من حيث البنية العميقة لا بد أن نعرف أوجه التشابه الدلالي على المستوى السطحي، والذي بموجبه يكون من الضروري إعادة البحث عن بنى عميقة لمستوى يكون أكثر تجرداً من المستوى الذي اقترحه (تشومسكي).

(1) في النص الفرنسي Antoine.

في هذا الإطار النظري تتطلب الجمل ـ الشاذة دلالياً والصحيحة معجمياً ـ استدعاء المنطق والنحو معاً وبالتالي يكون المكوّن القاعدي المقترح متشابهاً أكثر فأكثر ـ في بعض النقاط ـ إلى النظام المنطقي للمناطقة.

خصص (لاكوف) لهذه المسألة كتاباً بأكمله أطلق عليه (اللسانيات والمنطق الطبيعي) (Linguistique[1] et logique naturelle).

في هذا الكتاب ينطلق (لاكوف) من الفرضية التي تكمن في العلاقة بين البنية المنطقية والبنية النحوية، إنه يلجأ إلى المفاهيم المقترضة من المنطق بطريقة تعطي نوعاً من المنطق الخاص تسمى بـ «المنطق الطبيعي».

من حيث رؤية التحليل للظاهرة اللسانية تكون البنية النحوية لجملة (ما) هي الصورة المنطقية لهذه الجملة. وهذا يقتضي أن القواعد التي تربط صيغة المنطق وصيغة البنية السطحية هي القواعد النحوية.

على العموم بالنسبة لأنصار الدلالة التوليدية مستوى البنية العميقة ليس ضرورياً ولا لازماً، والنحو لا يمكن أن تكون له استقلالية تامة، وذلك مقارنة بالدلالة في البنية التحتية.

وليس هناك مجال لاستدعاء سلسلة كاملة من الأصناف النحوية؛ لأن هذا المستوى مؤلف من أصناف (منطقية ـ دلالية ـ نحوية).

---

(1) الترجمة الفرنسية في سنة 1972 م.

يمكن أن يقدم هذا النموذج في الشكل الآتي:

البنية التحتية ← التحويل ← البنية الفوقية (منطقة ـ دلالية نحوية)

إن المشاكل التي أثيرت من قبل النظرية النموذجية هي التي أثارت فرضيات جديدة، هذه الفرضيات هي التي أنشأت تدريجياً الدلالة التوليدية. إلا أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد في نظرية (تشومسكي).

تبعاً للاعتراض الذي أثير ضد النظرية النموذجية توصل (تشومسكي) من جهته إلى اختيار دلالة تأويلية أكثر تعقيداً. وبدأ يظهر بوضوح أن النظرية النموذجية يمكن أن تخضع لبعض التغييرات. ومن الآن فصاعداً يمكن للمكون الدلالي أن يكون في حدود تمثيل البنى السطحية ولا يقتصر على البنى العميقة.

هذا ما أوحت به بعض اختبارات بعض الظواهر التي تتضح من خلال النبر على بعض الكلمات فعلى سبيل المثال في جملة: أحمد هو الحاضر هنا؛ وذلك بالضغط أو بالنبر على كلمة (أحمد) إذ يفترض أن يكون هناك شخص آخر ونحن نقصد أحمد.

من أجل إدراك مثل هذا النوع من الظواهر سعى (تشومسكي) في البداية إلى بيان أنه ليست هناك وسيلة للتعبير عن مثل هذه الظواهر ضمن البنية العميقة؛ إلا أنه بعد الفحص والاختبار توصل إلى أن المكوّن الدلالي يمكن تمثله على مستوى البنية السطحية مثلما يمكن تمثله على مستوى البنية العميقة.

يثبت (تشومسكي) عدم إمكانية البنية السطحية في حل بعض

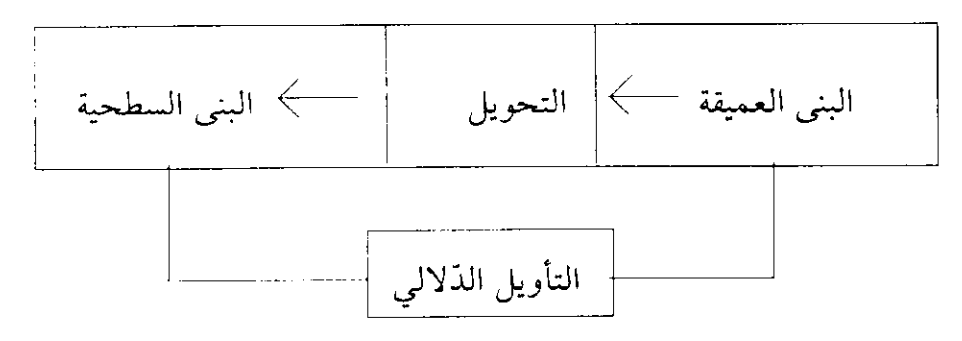
المشاكل الدلالية القائمة في بعض الجمل، ولفهم هذا النوع من الجمل لا بدّ من اللجوء إلى البنية العميقة أيضاً.

فعلى سبيل المثال، جملة: كثير من الناس يقرؤون قليلاً من الكتب. وجملة: قليلاً من الكتب قرئت من قبل عدد كبير من الناس.

في هاتين الجملتين لا بدّ من اللجوء إلى البنيتين البنية السطحية والبنية العميقة حتى نتمكن من إدراك الفرق بين معنى العبارتين.

من أجل إمكانية فهم هذا النوع من الظواهر التي تبدو على السطح اقترح (تشومسكي) ألاّ تكون البنية العميقة وحدها ـ بعد الآن ـ ذلك المستوى المتمتع بامتياز والذي يمكن من خلاله أن نستدعي التصور الدلالي.

إذن (النظرية النموذجية) تغيرت وأصبح اسمها (النظرية النموذجية المتسعة). نموذج تشومسكي المعدل يمكن تصوره في الشكل الآتي:



الدلالـة التأويلية[1]: لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه الترجمة تشير إلى أن التأويل الدلالي إذا كان يمكن إجراؤه انطلاقاً من البنية السطحية والبنية العميقة فإن البنية العميقة تستمر في القيام بالدور الرئيسي؛ لأن

(1) ترجمة 1971 م.

كـل تغييـــرات (تحـويـلات) الارتبـاط المعجمـي تتــم قبـل التغييـرات النحوية.

بعد هذا يمكننا القول: إنه حتى لو قدر لهذه النظرية ـ (النظرية النموذجية المتسعة) ـ أن تعرف تطورات جديدة فإن البحث في هذا التطور ـ من غير شك ـ يتجاوز إطار هذه الملزمة.

قائمة المراجع

- Bassam Baraké - Dictionnaire de Linguistique Français - ARABE - Jarrouss Press Tripoli - Liban.
- F. De Saussure - Cours de Linguistique Générale, PARIS - Payot, 1979.
- Georges Mounin - Clefs pour la Sémantique, PARIS - Editions Seghers, 1972.
- Jean Dubois - Dictionnaire de Linguistique, PARIS - Larousse, 1973.

ـ د.عبد السلام المسدّي ـ قاموس اللسانيات، عربي ـ فرنسي، فرنسي ـ عربي، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1984 م.

الفهــــرس

الفصل الثاني : الغموض المعجمي

الفصل الثالث : دلالة الكلمة

الفصل الرابع: دلالة الجملة

الفصل الخامس: العلاقة بين النحو والدلالة